امرأة غير قابلة للكسر

رواية

تأليف

محمد رفعت

دار «روعة» للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى ٢٠١٣

"امرأة غير قابلة للكسر"

رواية
الكاتب / محمد رفعت
غلاف / عبد الرحمن حافظ
الطبعة الأولى ٢٠١٣

دار روعة للطبع والنشر والتوزيع
٠١١٤٠١٧٨١٤٤
darrawaa@yahoo.com
مدير عام / هبة الشرقاوي

رقم الإيداع // ١٠٤٩٨-٢٠١٣
الترقيم الدولي // 978-977-6411-46-3

امرأة غير قابلة للكسر

-١-

ثلاث زهرات في حديقة بلا بستاني، يقف الشارع كله على قدم واحدة حين تنزل واحدة منهن لتشتري شيئا من السوبر ماركت القريب، أو لتذهب الى كليتها أو عملها..ولكن لم يكن يعرف أحد لهن أبا، فأمهن هي كل شئ في حياتهن، ولم تعد حتى البنات تسألن عن الأب الغائب الذي رحل ولم يعد، منذ أن ثارت الأم في وجوههن، حين تجرأت إحداهن مرة وسألتها هذا السؤال.

وكانت أمنية خريجة معهد السينما والمخرجة الواعدة هي آخر العنقود، ومع ذلك فلم تكن الدلوعة أو المفضلة عند والدتها، بل بالعكس، فقد كانت أمها تقول لها دائما إنها جاءت إلى الحياة على سبيل الخطأ،وأنها تعبت كثيرا في حملها وولادتها، ولا يزال هذا التعب يؤثر على رشاقتها وصحتها حتى الآن، رغم أن الجميع يحسدونها على قدرتها العجيبة على الاحتفاظ بتألقها وشبابها، لدرجة لا يمكن أن يصدق معها أحد أن سيدة الأعمال الجميلة شاهيناز شوكت أم لثلاث بنات إحداهن تستعد لحفل الزفاف.

ومع ذلك فقد كانت شاهيناز لا تكف عن مداعبة أمنية بهذه الدعابة الثقيلة، وكانت الفتاة ترد عليها دائما بما يردده الناس حين يرونها بصحبتها أو بصحبة إحدى شقيقتيها، ويعتقدون أن الأم هي شقيقتهن الكبرى، ولا يصدق أحد أبدا حين يعرف أنها أمهن.

في حين كانت تصر شاهيناز على أنها تغيرت كثيرا، وتستشهد بالصور الكثيرة المعلقة لها على الحائط وتشهد بأنها كانت في شبابها ملكة جمال غير متوجة، وأنها لم تعرف الترهل في بعض أجزاء جسمها حتى أنجبت أمنية.

وهي وإن كانت لا تزال تستثمر جمالها وجاذبيتها في التأثير على الرجال وتسيير المراكب المعطلة وتسهيل العقبات والمشكلات التي تواجهها أحيانا في أعمال البيزنس التي تديرها، إلا أنها لا تكف أبدا عن الحديث عن الأيام الخوالي التي كان الجميع يحكون ويتحاكون فيها عن جمالها الفتان والرجال الذين يرتمون تحت قدميها، وكيف أنها فضلت أباهم الموظف الفقير على أولاد الحسب والنسب وأبناء الباشوات والبكوات الذين كانوا يتوددون اليها ويدقون بابها ويتمنون لها الرضا حتى ترضى.

وكانت شاهيناز لا تمل أبدا من تكرار هذه الأسطوانة المشروخة، رغم أنها كانت تثور بشدة حين يذكر لها أحد سيرة الأب، وتحتفظ لنفسها فقط بالحق في أن تلوك سيرته وتشوه صورته بين وقت وآخر، وتحكي عن الأيام السوداء التي عاشتها معه، وكيف تحدت أهلها وأغضبت والدها الحكمدار بجلالة قدره حتى تتزوج من الشاب الذي أحبته ورق له قلبها، رغم أنه لم يكن سوى موظف صغير في مصلحة الآثار.

وتعترف رغم أنفها بأنها كانت مفتونة به وبوسامته ورجولته ورقته وشاعريته وروحه الوثابة المتمردة على الأوضاع الفاسدة والظروف السيئة التي كان يعيش فيها الوطن، ولا تعرف حتى الآن كيف خبت هذه الروح فجأة، ولماذا استسلم وهو المقاتل العنيد لمن خنقوا فيه الاحساس بالحياة، وكيف قبل على نفسه أن يهجرها ويهجر بناته وهن في عمر الزهور.

وكانت البنات كلما سمعن هذه القصة ازددن حنقا وحقدا على والدهن الغائب، وازددن إحساسا بأن هذه السيدة التي دفنت شبابها من أجل أن تربيهن، هي الأم والأب وهي الأهل والناس والعائلة، وأن كلمتها مثل السيف الذي تفضل الواحدة منهن أن تطير رقبتها به على أن تخالف لأمها كلمة أو تخون وعدا قطعته على نفسها لها.

وحين جاء عريس لأختهن الوسطى "هناء"، وكان ضابط شرطة طول بعرض بارتفاع، ونجل محامي كبير، تربطه علاقة صداقة وعمل بوالدتهن، عندما دخل هذا العريس البيت فوجئت البنات بأم أخرى غير تلك التي يعرفنها، أمهن التى كانت تظل تبكي بالساعات وهي تحكي لهن قصتها مع والدهن وكيف باعها وهي في أشد الحاجة إليه، تحولت الى النقيض في موقفها من الأب خلال حديثها مع المحامي "علي الجرايحي" وابنه، وبررت طلاقهما بأنه "قسمة ونصيب"

وأمر لا يشينه ولا يعيبها، فقد كان طموحها أكبر بكثير من أحلامه وطموحاته. ولخصت للجرايحي وابنه أسباب الخلاف بينها وبين فخري الريس في الاختلاف الذي يصل إلى حد التباين بين شخصيتها وشخصيته، فهي كانت شخصية عملية ومحبة للحياة، وهو كان رومانسيا يعيش في دنيا أخرى غير دنيانا ويحارب طواحين الهواء ويدخل في معارك مع أناس لا يرحمون وهو أعزل من أي سلاح، حيث لم يكن مسنودا بعزوة أو سلطة أو مال، ولذلك لم يجد أمامه سوى الفرار الى بلاد جديدة يحقق فيها ما فشل في تحقيقه في بلده.

وظلت شاهيناز تتحدث كثيرا عن أصوله الطيبة وشخصيته المحبوبة، لدرجة أصابت البنات بالارتباك والحيرة..فلماذا هذا التحول المفاجئ الآن..ولماذا تتطرق إلى هذا الموضوع الشائك، في حين أنها كانت تستطيع أن تتجاهله وتنقل الحوار الى نقطة أخرى، لكنهن فهمن في النهاية أن الأم لا يمكن أن تشوه صورة الزوج والأب أمام العريس ووالده، وأنها كانت لابد أن تفتح بنفسها موضوع انفصالها عن أبيهن، قبل أن يسألها أحد عنه، وبطريقة ذكية تنهي الكلام فيه تماما وتستبعده من أي حوار في المستقبل..وهذا هو ما حدث بالفعل.

والتقط الجرايحي خيط الحديث ودخل في الموضوع مباشرة،

وقال إنه يشرفه أن يطلب يد المهندسة هناء لإبنه سامح الضابط في شرطة السياحة، وإنه يشعر بأن بنات شاهيناز هن أيضا بناته، ويريد أن يوثق علاقته الحميمة بتلك العائلة المشرفة بأواصر النسب.

واحمر وجه البنت ليس فقط خجلا، ولكن أيضا خوفا من خوض تجربة الخطبة والزواج بعد قصة حب فاشلة مع زميل لها في الدراسة بكلية الفنون الجميلة، وفي شركة الدعاية والاعلان التي يعملان بها منذ تخرجهما.. وهي الآن حائرة..هل تداوي جرحها بنفس الداء لعلها تجد في عريسها الجديد ما افتقدته في رامز، أم تعطي لنفسها فرصة أطول للتفكير والتعافي من آثار تجربة عاطفية استمرت لأكثر من خمس سنوات، حين تعرفت على رامز وهي لاتزال في الصف الأول بكلية الفنون الجميلة، فيما كان هو يسبقها بعامين، وحتى تخرجت وتوسط لها لكي تعمل معه في شركة كريم فوزي للدعاية والإعلان. أما العريس سامح فلم يكن من النوع الذي تستطيع أن تسبر غوره بسهولة أو تعرف فيما يفكر وبماذا يشعر، وظل طوال الوقت ساهما وصامتا ولم ينطق سوى ببعض جمل مجاملة قليلة، ولم يبد عليه على الاطلاق أنه ضابط شرطة، فقد كان خجولا للغاية.

وسرحت هناء طويلا وهي تحاول بينها وبين نفسها أن تجد تفسيرا لهذا الخجل..فلعله هو الآخر منساق الى هذه الزيجة بفعل

إلحاح والده الذي تربطه علاقات عمل ومصالح مشتركة مع الأم.. أو لعله كان يحب هو أيضا وفشل في حبه، فأراد أن يتزوج بطريقة زواج الصالونات التقليدية التي تزوج بها أباه وجده.. أو لعله شعر فجأة بالسأم والملل من كثرة علاقاته بالفتيات.

فسامح ضابط شرطة مهندم وثري ووسيم، وبالتأكيد عاش علاقات غرامية كثيرة، وأراد أن يكمل نصف دينه ويستقر ويكون عائلة.. ولعله.. ولعله..كلها تكهنات وتنبؤات كانت تدور في عقل هناء، ولم ينقذها منها سوى اتفاق الجرايحي وشاهيناز على اعطاء الولد والبنت فرصة كافية من الوقت لكي يدرس كل منهما الآخر ويقترب منه ومن شخصيته، واتفقا على أن يتم الزواج، في حالة ما اذا ارتاح سامح وهناء لبعضهما البعض في غضون سنة من الآن، يكون فيها سامح قد انتقل للعمل بالقاهرة، بعد انقضاء عامين كاملين قضاهما في التنقل بين فروع ادارات شرطة السياحة في الأقصر والغردقة وشرم الشيخ والوادي الجديد.

وبدا على هناء لأول وهلة أن العملاق راق في عينيها، ويبدو أنها أعجبت بالفعل بفحولته ومظهره الرجولي اللافت، وقد تكون قارنت بينه وبين زميلها البوهيمي النحيف المتقمص تقريبا لصورة الفنان التشكيلي كما تظهر في أفلام السينما ومسلسلات التليفزيون، ولذلك فقد وافقت بسعادة على اقتراح الأم بأن ينسحب هناء

وسامح من الجلسة ليجلسا بمفردهما في الفراندة ويتحدثان على راحتهما، وحين دخلت أمنية لتقدم لهما الشاي والجاتوه، وجدت أختها تضحك بهستيرية على نكتة يبدو أن الضابط الصموت قد انفكت عقدة لسانه فجأة وقالها لها.

والأغرب أنها وجدته يهمس في أذنها ربما بنكتة أخرى يبدو أنها كانت جريئة أكثر من اللازم، وحين دخلت عليهما مرة أخرى بعد نحو نصف ساعة لتقدم لهما كوبين من العصير وجدتهما واقفين وظهرهما للجالسين في الريسبشن والصالون وركبته تكاد تلتصق بركبتها.

ومع ذلك فلم تكن هناء قد رمت بالكامل طوبة رامز زميل العمل والدراسة الذي ذاقت معه لأول مرة طعم الحب، وحين نادتها أمها وانفردت بها في حجرتها بعد انصراف الجرايحي وابنه لتسألها عن رأيها في العريس، قالت لها إنه مش بطال، لكنها تحتاج إلى وقت لكي تعرفه عن قرب.

وسارعت هناء الى اختها الصغري التي تعتبر كاتمة أسرارها ومستشارتها العاطفية، لتبثها ما في نفسها وتعرف رأيها في العريس، بينما ذهبت الأم للجلوس مع ابنتها الكبرى داليا لتتحدثان في نفس الموضوع

-٢

لم يبد على داليا أي قدر من التأثر والاستياء بسبب تقدم عريس لخطبة أختها الأصغر منها، وهو ما كان بمثابة المفاجأة لوالدتها التي تعرفها جيدا، وتعرف أنها غيورة جدا، ولا تحب أن تكون أي إنسانة أفضل منها أو أكثر حظا، حتى ولو كانت أختها الشقيقة. وفوجئت شاهيناز بابنتها الكبرى التي تخرجت منذ خمس سنوات من قسم الصحافة بكلية الاعلام، وجربت العمل في أكثر من مجال لكنها كانت تمل بسرعة وتترك العمل، فوجئت بها تتجه بالحديث عن زيارة المحامي وابنه الضابط لخطبة شقيقتها الوسطى إلى وجهة أخرى تماما تصب في النهاية في مصلحتها الشخصية.

وقالت داليا لأمها إن على الجرايحي هو الصديق الصدوق للكاتب الصحفي الشهير علاء مراد الذي يرأس تحرير صحيفة المستقبل والتي تتصدر قائمة أكثر الصحف الأسبوعية الخاصة توزيعا بسبب ما تنشره من موضوعات وتحقيقات ساخنة وفضائح وقضايا فساد وصور عارية..ويقال إن مراد نفسه يعمل لحساب جهات حساسة داخل أجهزة الدولة، هي التي تمده بالمعلومات والملفات والمستندات التي ينشرها في جريدته ويفضح بها مسئولين كبار ورجال أعمال مرموقين.

وظلت الأم تستمع الى ابنتها وهي تحكي لها أشهر القصص الصحفية التي فجرها علاء مراد وجريدته، وأهم الكتب التي قام

بتأليفها، وكلها تنتمى أيضا إلى نفس النوعية المثيرة من الموضوعات التى يكتبها بأسلوب رشيق يجمع بين عذوبة وانسيابية أسلوب الكاتب الشهير أنيس منصور، وبين حرفية وعقلانية كتابات الصحفى الكبير محمد حسنين هيكل الذى أجرى معه علاء مراد أكثر من حوار صحفى فى جريدته.

وسرحت شاهيناز قليلا فيما تقوله داليا، وتذكرت المرة الوحيدة التى التقت فيها هذا الصحفى المعروف فى مكتب الجرايحى، وانبهرت بثقافته ولباقته وقدرته العجيبة على لفت الانتباه والاستيلاء على عقول وقلوب المحيطين به.

وتذكرت كيف كانت صدمتها لا توصف حين أخبرها على بيه بأن هذا الصحفى الشهير يتقاضى راتبا شهريا ضخما من عزت باشا النعيمي رجل الأعمال الثرى وصاحب مجموعة الشركات الاستثمارية، والذى يعمل "الجرايحى" مستشارا قانونيا له.

وعرفت أن السبب الحقيقي فى زيارة مراد لمكتب الجرايحى كانت هى رغبته في أن يتناقش معه فى تفاصيل الحملة الصحفية التى بدأ علاء مراد فى تبنيها من خلال صحيفته حول خطورة رى الأراضى الزراعية فى كثير من محافظات مصر بمياه الصرف الصحى.

واكتشفت من خلال الحوار بين مراد والجرايحي أن الهدف الأخلاقي الذي يدعي رئيس التحرير أنه يرمي إليه من خلال الحملة

وهو كشف المستور وتحذير الحكومة والناس من خطورة استخدام مياه الصرف الملوثة حتى بعد معالجتها في ري الأراضي الزراعية وما يتسبب فيه ذلك من أمراض مزمنة للمواطنين ليس هو الهدف الحقيقي من تلك الحملة الصحفية..ولكن الهدف الحقيقى هو الترويج للمنتجات الزراعية التى يحتكر عزت باشا معظم إنتاجها فى مصر، وتعتمد على الزراعة الطبيعية الحيوية التى لا تستخدم فيها مبيدات حشرية أو مياه صرف صحى فى الرى وتباع بأسعار عالية جدا لا تتناسب مع السوق المصرى.

وقد أراد الباشا من وراء هذه الحملة الصحفية ضرب عصفورين بحجر واحد، الأول هو التشكيك فى المحاصيل الزراعية والأغذية الموجودة فى السوق، وتشجيع الطبقات القادرة من الناس على الاتجاه للأغذية "الحيوية"، والثانى هو توجيه ضربة قاصمة لأحد خصومه من رجال الأعمال، يمتلك عدة مزارع فى الجيزة ومساحات شاسعة من الأراضى الزراعية التى تعتمد في ريها على مياه الصرف الصحى بعد معالجتها كيميائيا.

وطبعا هذه التفاصيل التى عرفتها شاهيناز عن الحملة حكاها لها صديقها ومحاميها علي الجرايحي.

والغريب أنه قال لها أيضا إن هذا الصحفى المعروف بعلاقاته الواسعة وصلاته المتعددة بدوائر السلطة والمال، سوف يساعدهم فى

تأسيس شركة المقاولات التى أقنع المحامى الكبير شاهيناز بالإعلان عن إشهارها كستار لعمليات السمسرة فى الأراضى والعقارات التى تقوم بها بالشراكة مع الجرايحى منذ سنوات.

ومنعت لحظات السرحان الطويلة التى أخذت شاهيناز من حديثها مع ابنتها من التركيز فى كلام داليا، لكنها فطنت بسرعة إلى الطلب الذى تريده منها البنت وتلح عليه، وهو أن تتوسط لها لدى صديقها وصهر المستقبل المحامي علي الجرايحي لكى يتوسط بدوره للصحفية الشابة لدى صديقه الصحفى المعروف علاء مراد ليقبل تدريبها فى الصحيفة التى يصدرها.

ولم تضيع الأم وقتا كبيرا فى الحديث عن التفاصيل، بل مدت يدها على الفور إلى تليفونها المحمول واتصلت بالمحامى، واعتذرت له فى البداية عن ازعاجه بموضوع جديد، رغم أنه لم يغادر بيتها سوى منذ ساعات قليلة، وطلبت منه أن يتوسط لتدريب داليا فى جريدة المستقبل وألمحت له بطرف خفى أن يوصى صديقه الصحفى الكبير بالعناية بابنتها الشابة وأن يعتبرها ويتعامل معها على أنها ابنته.

وفهم الجرايحى بسرعة ما تقصده شاهيناز، وقال لها إن "علاء مراد" لا يلعب فى تلك المنطقة وطائراته لا تحلق في هذه الأجواء، ولم يعرف عنه أبدا أنه حاول التغرير بصحفية شابة تعمل لديه، وعلاقاته

النسائية تصب عادة في الوسط الفنى، ومذيعات التليفزيون وبعض سيدات الأعمال.

وضحك الجرايحي وهو يقول لها..

-قصدي انه ممكن يعاكسك انتي يا هانم لكن البنت لأ.

وأكد لها أنه سيقدم له داليا على أنها بمثابة ابنته وسيتابع بنفسه أخبار تدريبها وتعيينها فى الجريدة..وأغلقت الأم الخط مع المحامى، وأطلقت ضحكة مدوية وهى تقول لابنتها:

- يعنى إنتى طار منك عريس وراح لأختك الأصغر.. فماهانش عليكى تطلعى من المولد بلا حمص، وعلى طول شغلتى الفهامة، وطلعت من العريس وأبوه وصاحبه بشغلانه، صحيح يا ولاد.. اكفى القدرة على فمها.. أهو كده تبقى بنت أمك صحيح!.

وما كادت الأم تنهى حديثها الضاحك مع ابنتها حتى تلقت اتصالا من صديقها المحامى يبلغها فيه بأنه اتصل بالصحفى علاء مراد وطلب منه أن يقبل داليا للتدريب لديه فى الجريدة، فأبدى حماسا شديدا للموضوع، واتضح أنه يتذكر لقاءه العابر بمدام شاهيناز فى مكتب الجرايحى.

وطلب مراد أن تأتى الفتاة لزيارته فى مكتبه بعد عشرة أيام حتى يكون قد عاد من رحلة عمل صحفى إلى أمريكا، على أن تبدأ

التدريب فورا.. وشكرت الأم الجرايحي على اهتمامه الشديد بابنتها وسرعة استجابته لطلبها، وأمطرته بوابل من عبارات المجاملة المعروفة عنها، ورجته أن يصاحب داليا فى أول لقاء لها مع مراد كنوع من تأكيد التوصية عليها، ولأنها المرة الأولى التى ستبدأ فيها تجربة العمل في الصحافة بشكل حقيقي بعد تجارب أخرى غير جادة، كانت سرعان ما تمل منها وتعود للجلوس في البيت.

وقالت له إنها تعلم أنه سيكون مثل أبيها وأكثر.. وقبل "الجرايحى" هذا الرجاء على الرحب والسعة.

-٣-

فى الغرفة الأخرى كانت هناء تجلس هى وشقيقتها الصغرى أمنية وفى عينيها دموع محبوسة لم تقدر على البوح بها حتى أمام الإنسانة الوحيدة فى الكون التى لا تخجل من أن تحكي لها أى شىء يحدث لها في حياتها، وتعتبرها الناصح الأمين والمستشار النفسي والعاطفي، خاصة وأنها الأقرب لها حتى في السن، فلا يفصلهما سوى عام واحد فقط، والكل من زمان جدا يشهد لها بالعقل والرزانة والحنان الشديد والقدرة على استيعاب البشر، والاستماع بحب وتركيز واهتمام لكل ما يقال إليها.

ولم تستطع هناء هذه المرة أن تبكى أمام أختها، ولم تستطع أن تحكى لها عن السر وراء انهيار علاقتها بحبيبها رامز، خصوصا وأنها

تعرف أن أمنية لا ترتاح كثيرا لهذا الحبيب منذ عرفتها عليه فى إحدى زياراتها لها فى الكلية.. وتذكر جيدا العبارة التى قالتها لها أختها الصغرى فى وصف رامز حين شاهدته معها لأول مرة..

-ده ولد هايف..كل همه البنات والفلوس وبس.

قالت لها ذلك عنه رغم أنها لم تتبادل معه سوى كلمات معدودة، ورغم أنها لم يكن معروفا عنها أبدا التسرع فى الحكم على الآخرين، خصوصا إذا كانت تعرف أن هؤلاء الآخرين يمثلون ما يمثله رامز بالنسبة لهناء.

وربما كان ذلك هو الذى منعها من أن تحكى لأختها سبب الخلاف بينهما، وربما كانت تشك فى أن أختها سوف تفهمها.. أو أنها خافت من أن تصدمها بما قاله لها هذا الولد المجنون.. فما قاله كان قاسيا وصادما.. ولم تكن تتوقع أنها ستسمع مثله فى يوم من الأيام عن أمها.

ويبدو أن أمنية أحست بذكائها الفطرى بما يدور فى ذهن شقيقتها، وشعرت من توترها وحركة عينيها السريعة، وحالة الارتباك التى بدت عليها أن هناك شيء مهم وخطير تخفيه عنها، فراحت تستدرجها للكلام، وسألتها أولا عن رأيها فى العريس اللقطة الذى تقدم لخطبتها، وتعمدت أن تقارن بينه وبين رامز، وأن تبدو منحازة على غير الحقيقة لشخصية حبيب أختها، رغم أنها لم تكن في

الحقيقة ترتاح إليه، ولم تخف رأيها فيه لاختها وهي تعلم أن ذلك قد يجرح مشاعرها، بل وقد يثيرها ويستفز عنادها المشهورة به. لكن أمنية لم تستطع وقتها السيطرة على نفسها وكبح مشاعرها ومخاوفها تجاه هذا الشاب من فرط صدمتها فى الرجل الذى اختارته أجمل أخواتها لكى تذوب فيه عشقا، وتترك كل الشبان الذي يلتفون حولها في كل مكان تذهب اليه مبهورين بجمالها ورشاقتها وجاذبيتها.

وكان انطباع أمنية من خلال أول لقاء لها برامز أنه شاب فوضوى يرتدى بنطلون جينز مقطوع عند الركبة، ويعتمر قبعة على طريقة بعض المطربين والممثلين الشباب ويتحدث بلكنة مصطنعة، ويمضغ لبانة فى فمه طوال الوقت، ويفتح أزرار قميصه حتى يستعرض شعر صدره الكثيف أمام بنات الكلية.

والشيء الوحيد الذى لفت نظر أمنية وأعجبها فيه حين قابلته مع أختها فى الجامعة، أنه مهووس بالإعلانات وموهوب جدا فى هذا المجال واختار العمل فيه منذ البداية.

وتأكد لديها هذا الاحساس حين حكت لها أختها كيف تمرد رامز على رغبة والده في أن يصبح طبيبا مثله، وهجر الدراسة فى كلية الطب فى السنة الثالثة، وأصر على أن يدرس الفنون الجميلة، وعينه على تصميم الإعلانات، وقالت لها إنه يفخر دائما أمام الجميع بأنه صديق شخصى وتلميذ لامبراطور الإعلانات فى مصر والعالم العربى

"كريم فوزى".

وقالت هناء لأختها إن هذا الرجل الذي كون ثروة طائلة ونجح في أن يتحول بسرعة من مجرد ملحن مغمور ومخرج اعلانات ناشئ الى اسم مهم للغاية في عالم البيزنس وماركة مسجلة في دنيا الاعلانات، هو السبب الرئيسي في جنون رامز بهذا العالم السحري.

واعترفت لها بأنها هي الأخرى أحبت هذا العالم من خلال رامز، وتخلت عن أحلامها لكي تصبح فنانة تشكيلية مشهورة تقام معارضها في القاهرة وباريس وعواصم الفن في العالم، أو تدخل على الأقل مجال التصميم الداخلي والديكور الذي تعشقه وتشعر أنها موهوبة فيه من أجل الاعلانات..ولكنها لم تندم كثيرا على هذا الاختيار، فقد اكتشفت أن الاعلان علم وفن ودراسة وموهبة في نفس الوقت.

وأتاح لها عملها في شركة كريم فوزي التعرف على عدد غير قليل من أصحاب المنتجعات السياحية ورجال الأعمال الذين يمكن الاستفادة منهم فيما بعد اذا فكرت في افتتاح مكتب خاص بها لأعمال الديكور، وهي لم تتخل تماما عن أحلامها القديمة، فهي تمارس الرسم بانتظام، وتشارك ببعض لوحاتها في المعارض الجماعية بقاعة الفنون التشكيلية بدار الأوبرا وفي أتيليه القاهرة، كما أنها تصمم ديكورات بعض شقق صديقاتها ومعارفها ومعارف والدتها.

وعاد الكلام مرة أخرى حول رامز وسألت أمنية أختها كيف تعرف هذا الشاب غريب الأطوار على امبراطور الاعلانات كريم فوزي فحكت لها القصة كما حكاها لها رامز عشرات المرات.

كان الولد يحب أسلوب كريم فوزي في الاعلانات بجنون، وقرر أن يقابله ويعبر له عن إعجابه به وجها لوجه مهما كان الثمن، ويقول له إنه يحبه بجنون ويحلم بأن يكون فى يوم من الأيام مثله، وذهب بالفعل لمقابلته فى مقر شركته على كورنيش المعادى، ورفض رجال الأمن بالشركة أن يسمحوا له بالصعود لمقابلته، فظل ينتظره فى الشارع لساعات طويلة حتى خرج من المبنى وتوجه إلى سيارته، فما كان من رامز إلا أن أن اندفع نحوه وهو يركب السيارة، وظل يقول له إنه يحبه وأنه أستاذه وأنه متيم بأسلوب إخراجه للاعلانات، وأنه ترك كلية الطب ليدرس فن تصميم الإعلانات حتى يصبح فى يوم من الأيام مثله.

وكان إصرار رامز على تقديم نفسه لكريم فوزي أقوى من أي عقبة، لدرجة أن البودى جارد الخاص بامبراطور الإعلانات فشل فى السيطرة عليه، وفى منعه من استكمال الحديث فطلب منه كريم أن يركب معه فى سيارته، وأمر السائق أن يوصله إلى بيته بعد أن وعده بأن يتيح له فرصة للعمل بشركته حتى قبل تخرجه من الكلية..ومنذ هذا اليوم وهو واحد من أنشط العاملين فى الشركة، ودخله من العمل

بما يفوق كثيرا ما يحصل عليه أى أستاذ من أساتذته فى الكلية.

وهذا الجانب هو الشيء الوحيد الإيجابى الذى أعجب أمنية فى شخصية حبيب أختها.. لكنها لم تتصوره أبدا زوجا لها أو لأى فتاة فى رقتها وجمالها وأنوثتها.

ورغم محاولات هناء المستميتة لعدم البوح لشقيقتها الصغرى بسر خلافها مع رامز إلا أن أمنية أصرت على أن تعرف حقيقة ما حدث، وذكرتها بأنها كانت دائما موضع سرها وصديقتها الوحيدة الأمينة على أسرار غرامياتها منذ أن أحبت لأول مرة جارا لهم فى العمارة، هجرها ليتزوج ابنة عمته الثرية، وحتى تفاصيل علاقاتها بالمجنون رامز وحركاته السخيفة معها، ومواقفة الغريبة التى كان يفاجئها دائما بها، ولم تكن تجد لها أى تفسير منطقى، وتسرع إلى غرفتها باكية، وتحكى لأختها الصغيرة فتستمع لها فى صبر، وتحذرها فى كل مرة من الاقتران بهذا الشاب غريب الأطوار.

وذكرتها بما كانت تفعله كل مرة يحدث فيها خلاف بينهما، حيث كانت تقسم بأنها ستقطع علاقتها به ولن تقابله مرة أخرى، لكنها تعود دائما فى كلامها وتغفر لحبيبها نزقه ورعونته وتصرفاته غير المفهومة..لكن يبدو أن خلافهما هذه المرة كان عميقا وجارحا، للدرجة التى جعلتها تخجل فى البداية من البوح به لأختها وأقرب الناس إلى قلبها.

الخلاف بين هناء وأمنية لم يكن يتعلق هذه المرة بفتاة جديدة اكتشفت أنه يخرج معها، أو موديل إعلانات لعوب وقع فى حبائلها وأصبح يتجاهل هناء ويهرب من لقاءاته معها لأنه غارق حتى أذنيه فى الجري واءها.. وما أكثر هؤلاء الموديلز اللاتى كان رامز يقيم علاقات معهن، ولا يخجل من أن يحكى لحبيبته تفاصيل حياتهن المتحررة، وكيف أن الواحدة منهن تبدأ كموديل تظهر لترقص وتصفق للمطربين والمطربات فى برامج المنوعات، ثم سرعان ما تتعرف على مخرج أو منتج أغنيات فيديو كليب يعطيها الفرصة للظهور فى أغنية مصورة أو مشهد صغير فى فيلم أو مسلسل.

وبعضهن كن يتجهن إلى عالم الإعلانات ويتعرف عليهن رامز من خلال عمله فى شركة كريم فوزى التى تستعين بالعشرات من هؤلاء الموديلز، وتحاول الموديل التقرب من رامز باعتباره واحدا من المقربين من صاحب الشركة، لعله يقنعه بأن تكون بطلة لإعلاناته، ويستغل رامز دائما الفرصة ويسعى لإقامة علاقة معها، غالبا ما تنتهى خلال أسبوع أو شهر على الأكثر يحصل خلاله على ما يريده منها، ثم يعود إلى حبيبته هناء طالبا العفو والسماح والغفران.

أما هذه المرة فالأمر قد تجاوز كل الحدود.

قالت هناء هذه العبارة لأمنية وهي تضع يدها على فمها حتى لا يخرج صوتها من الغرفة، وارتعش جسدها كله، وهى تلقى على

أختها بالمفاجأة التى وقعت عليها كالصاعقة، وتعترف لها بأن الولد الخسيس يطعن فى شرف أمهن، ويتهمها بإقامة علاقة محرمة مع عزت النعيمي رجل الأعمال المعروف.

والنعيمي هو واحد من أهم عملاء شركة كريم فوزي للدعاية والاعلان، والذي تتولى الشركة عادة حملاته الاعلانية والدعائية، وخصوصا لمشروعاته الانشائية والمنتجعات والمدن السكنية التي يقوم ببنائها في كل مكان في مصر، وتباع الشقة أو الفيلا فيها بالملايين، وتشارك هناء نفسها في تخطيط وتجهيز الحملات الاعلانية الخاصة بها، منذ أن توسط لها رامز للعمل معه في شركة كريم فوزي.

وقالت هناء لأختها أيضا إن رامز أقسم لها أنه رأى والدتها أكثر من مرة فى صحبة رجل الأعمال الشهير أثناء صعودها و نزولها معه من برج سكني على كورنيش المعادى، تقيم فيه مطربة معروفة يتولى رامز ترتيبات الدعاية لألبومها الغنائي الجديد، ودلل على صحة كلامه بأنه يعرف الأم جيدا ويحفظ ملامحها التي لا تنسى، رغم أنه رآها مرة واحدة، حين جاءت الى الكلية بسيارتها لاصطحاب هناء بعد انتهاء محاضراتها.

وذكر هناء بأنه غضب جدا منها في هذا اليوم لأنها تركته بسرعة لتلحق بأمها، ولم تستجب لطلبه بأن تجعلها تقابله وتتعرف عليه، بحجة أن الوقت لم يحن بعد لذلك، لكنه لم ينس أبدا ملامح

الأم. وقال إنه حين شاهدها لأول مرة مع النعيمي ظن أنه لقاء بيزنس عادى بين رجل أعمال ومقاولات معروف، وبين سمسارة أراضى وعقارات، كما كانت هناء تقدم له أمها تبريرا للحياة المرفهة التى يحيونها، والمظهر الارستقراطى الذى تظهر به حبيبته وشقيقاتها، رغم أن والدها الذى طلق أمهن بعد عشرة أعوام فقط من الزواج، أنجب خلالها البنات الثلاث، ثم هاجر إلى استراليا وحده، دون أن يعبأ بهن أو يرسل فى طلبهم لكى يعيشوا معه، كان موظفا بسيطا، ولم يترك لهن شيئا يعينهن على تكاليف وأعباء الحياة.

وكانت هناء تكرر لأمنية ما قاله رامز وهى تجهش بالبكاء، وتؤكد لأختها أنها شتمته وضربته بحقيبة يدها ليتوقف عن هذا الكلام السافل، لكن رغبته غير المفهومة فى الانتقام منها والتشكيك فى سمعة أمها ومصدر ثروتها كانت أقوى بكثير من كل محاولاتها لإسكاته، والاعتراض على كلامه..ولم تجد أمنية شيئا تقوله ولم تملك نفسها هى الأخرى من البكاء، واسترجعت فى لحظة شريطا كاملا من الذكريات المؤلمة.

وتذكرت في لحظة رجالا كثيرين دخلوا حياة أمها.. فلان بيه تاجر العقارات الشهير.. وترتان باشا الضابط الكبير بالمباحث..وعلان بيه رجل الأعمال المعروف.. سلسلة لانهاية لها من الأثرياء وأصحاب النفوذ وأرباب المناصب.. كانوا يدخلون ويخرجون

من حياة شاهيناز دون أن تعرف بناها طبيعة علاقة الأم بهم أو أسباب تقربها منهم ومحاولاتها الدؤوبة لكسب ودهم.

لكنها لم تتصور أبدا لا هى ولا أختيها أن الأمر قد يزيد عن علاقات مصلحة، ولم تتوقع على الإطلاق أن يأتى اليوم الذى يتهم فيه شاب تافه وأهوج أحبته أختها فى لحظة عبط أمهن بأنها امرأة مشبوهة.

-٤-

رغم أن الجرايحى اعتذر بلباقة لمدام شاهيناز عن عدم حضور زوجته معه فى أول زيارة له لمنزلها للتقدم لخطبة ابنتها لابنه الوحيد، لكن العذر الذى تعلل لها به وهو إصابة زوجته المفاجئ بدور برد شديد بدا وكأنه حجة غير مقنعة، خاصة وأن شاهيناز تعرف بحكم اقترابها الشديد من محاميها وشريكها فى نفس الوقت، أنه دائم الخلاف مع زوجته، وأنها تعودت على أن تترك له المنزل بالأيام والأسابيع وتذهب للإقامة عند أختها الأرملة التى تعيش وحدها بالإسكندرية.

لذلك أحست أن الحكاية ليست مجرد نزلة برد، ولكن شيئا ما لاتعرفه بالتأكيد هو الذي منع الجرايحي من اصطحاب نجوان في تلك الزيارة، ومع ذلك فلم تشأ أن تضغط عليه أو تسأله عن السبب الحقيقي الذي منع زوجته من الحضور في أول لقاء لإبنه بعروس

المستقبل وأهلها،رغم أن علاقة الصداقة والشراكة الوطيدة بينها وبين الجرايحي كانت تسمح لها بأن تفاتحه بصراحة في هذا الموضوع..وكانت شاهيناز على حق في ظنونها.

وبمجرد أن عاد علي الجرايحى وسامح من زيارة العروس حتى قابلته زوجته بعاصفة شديدة من الغضب والتوبيخ، لكنه لم يعرها أدنى اهتمام، وألقى بنفسه فوق كرسيه الوثير المفضل أمام التليفزيون وطلب من سامح أن يناوله أقراص الدواء التى اعتاد على تناولها قبل العشاء، ولكن نجوان التى أعلنت منذ البداية رفضها التام لهذا النسب، أصرت على استكمال هجومها على شاهيناز وعائلتها وبناتها، وحذرت ابنها من الاقتران بهذه العائلة التى لا رابط ولا ضابط ولا كبير لها، ولم تسكت إلا عندما صرخ الجرايحى فى وجهها وهددها بأن يترك لها الفيلا ويروح فى ستين داهية.

والحقيقة أن نجوان لم تكن شخصية طبيعية تماما، فهى تعانى من أزمة نفسية شديدة من بداية زواجها من الجرايحى الذى كان يعمل محاميا مساعدا لدى والدها أشهر محامي الإسكندرية وعضو مجلس الشعب السابق وسليل الحسب والنسب وصاحب الثروة الكبيرة التى ورثت نجوان جزءا منها.

ولم يعارض والدها فى زواجها من المحامى الشاب رغم فقره وعائلته المتواضعة، لأنه كان يعرف جيدا طباع ابنته الحادة ولسانها

السليط والنوبات العصبية التى تصاب بها بين وقت وآخر.

وكان الأطباء يظنون فى البداية أنها نوبات صرع مؤقتة، لكنهم اكتشفوا بعد ذلك أنها أعراض لمرض فى المخ، لم يستطيعوا أبدا التوصل إلى طريقة لعلاجه بشكل جذرى، فكان على الفتاة أن تقضى بقية عمرها وهى تتعاطى أنواعا عديدة من المسكنات والمهدئات.

ورغم هذا فقد كانت نجوان شخصية حنونة وطيبة للغاية ولا تخلو من جمال، وأجمل ما فيها هو لون عينيها النادر الذى ورثته عن والدها الارستقراطى، وقوامها الممشوق الذى حافظت دائما عليه من خلال ممارستها لرياضة السباحة التى كانت تواظب عليها سواء فى النادى أو فى حمام الفيلا التى عاشت فيها معظم عمرها بالإسكندرية.

وحين التقت نجوان لأول مرة بالصدفة بالمحامى الشاب الذى يعمل فى مكتب والدها، حين ذهب لأول مرة فى حياته إلى الفيلا ليسلم الأستاذ أوراق قضية مهمة، لفت نظرها منذ البداية جرأته وثقته بنفسه ووسامته وطوله الفارع الذي ورثه عنه إبنهما الوحيد سامح، و شعر علي الجرايحي هو الآخر بشئ غامض يجذبه نحوها، وأحس بأنه سوف يقع من طوله حين التقت عيناه لأول مرة بعينيها، وانبهر بلونهما الأزرق السماوي، لدرجة أنه لم يمنع نفسه من التحديق

فيهما.

ولم ينزل الجرايحي عينيه لحظة عن نجوان وفحصها من شعر رأسها حتى قدميها، حين التقى بها لأول مرة في حياته على باب الفيلا وهى تستعد لركوب سيارتها ومعها واحدة من صديقاتها.. ولحظتها أحست نجوان هي الأخرى بأن هذا الشاب الوسيم سوف يكون من نصيبها، وسألت عنه والدها فى جرأة غير متوقعة منها، وهي التي كانت ظروفها النفسية والصحية تمنعها من الاستمرار في أي علاقة ارتباط عاطفي.

وكاد والد نجوان يطير من الفرحة حين سألته عن اسم الشاب الذي يعمل في مكتبه والتقته اليوم بالصدفة على باب الفيلا، وشعر أن القدر سيصبح رحيما به وبابنته، وأنه سيأتي اليوم الذي يرى فيه نجوان مثلها مثل كل البنات تحب وتتزوج، وهى التى كانت تنفر دائما من الرجال، وتنفرهم هم أيضا منها بسبب طبعها المتمرد وألفاظها الخشنة، والنوبات العصبية التى تنتابها أحيانا أمام الناس، رغم كومة المهدئات التى وصفها الأطباء لها.

وتمنى من الله أن يكون هذا الشاب الذي وثق فيه بسرعة وتوقع له مستقبلا كبيرا في عالم المحاماة منذ اليوم الأول الذي التحق فيه بالعمل في مكتبه، هو طوق النجاة الذي سينقذ ابنته من الوحدة والعنوسة.

ودعا من كل قلبه أن ينجح الجرايحي بذكائه وتهذيبه وقوة أعصابه في أن يلجم هذا الحصان الجامح، بعد أن أدت طباع نجوان الحادة ومرضها المستعصي على الشفاء إلى فشل خطبتها أكثر من مرة، وحسرة أبيها وأمها عليها وعلى مستقبلها المجهول.

ومما كان يزيد من قلق والديها عليها أن نجوان لم تبد حماسا كبيرا للعمل سواء في مكتب والدها المستشار السابق والمحامي الشهير حاليا، والذي يعتبرونه واحدا من جهابزة القانون، أو في اي شركة من الشركات التي يملكها أصدقاء لوالدها وعرضوا عليها أن تعمل معهم فيها بأي مرتب تختاره مجاملة له.

وكانت نجوان تخاف بشدة من الاحتكاك المباشر بالناس، وتعتقد أنها تفوقت في دراسة القانون لأنها دراسة نظرية لا تحتاج فيها للتعامل مع أحد، وكانت لا تحضر المحاضرات إلا فيما ندر، وتعتمد على نفسها في الاستذكار، ولم تكن تختلط كثيرا بزملائها وزميلاتها في الجامعة أو تدعو أحدا منهم لزيارتها في منزلها، وكانت منطوية ومحبة للابتعاد عن الناس، رغم أنها تلقى كل المساندة من والديها وأخيها الوحيد.

وكان الأخ يسافر كثيرا بحكم عمله كطيار مدني فى رحلات جوية حول العالم ولا يقضى وقتا كبيرا مع العائلة، إلا أنه الشخص الوحيد الذى كانت تثق به نجوان وتصبح هادئة ومرتاحة تماما فى

وجوده.

ورحب شقيق نجوان كل الترحيب بمشروع زواجها من علي الجرايحي، بعد ما سمعه من والده عن انضباطه وأخلاقه وطموحه..وتقدم الجرايحى بالفعل للاقتران بنجوان بإيعاز من والدها الذى تعمد بعد واقعة لقاءها العابر بها على باب الفيلا، أن يستدعى الشاب كثيرا إلى بيته بحجج مختلفة، كما تعمد أن يتيح له فرصة الحوار أكثر من مرة مع ابنته فى وجوده، وبدأ يمنحه امتيازات خاصة فى المكتب ويفضله على بقية المحامين العاملين فى مكتبه، وزاد راتبه أكثر من مرة وأصبح يسند إليه قضايا مهمة، حتى يزيد من خبرته وثقته فى نفسه، ويختبر قدراته وكفاءته كمحامى فى نفس الوقت.

ونجح الجرايحى في الاختبار باقتدار بفضل طموحه وذكائه ورغبته العارمة فى إثبات وجوده وكسب ثقة مثله الأعلى فى الحياة والمحاماة.. وهو ما جعله يتشجع ويطلب يد ابنة أستاذه الوحيدة للزواج.

وكان الأستاذ أمينا للغاية مع تلميذه وصارحه من البداية بحقيقة مرض ابنته، الذي فشل الأطباء في مصر وأمريكا وبريطانيا في العثور على سبب له، وقال له إنها تصاب من وقت لآخر بنوبات عصبية تفقد فيها السيطرة على نفسها، لكنها تنتهي بمجرد أن تتجرع الدواء، وتعود انسانة طبيعية تماما.

وصارحه أيضا بأن هذا المرض يؤثر في بعض الأحيان على حالتها النفسية ويجعلها تصاب أحيانا بالاكتئاب، لكن ذلك أيضا لا يستمر كثيرا وهي لذلك تحتاج الى معاملة خاصة..تحتاج إلى من ينسيها مرضها ويعجل بشفائها، لا إلى من يضاعف آلامها ويؤدي الى انتكاسة حالتها.

واستمع الجرايحي للأستاذ في أدب وصبر، وطمأن الأب إلى أنه سيضع ابنته في عينيه، وسيحاول أن ينسيها بحبه وحنانه كل ما عانته من آثار المرض، وأنه سيكون دائما عند حسن ظنه، وصارح أستاذه بأنه شعر بشئ غامض يجذبه الى ابنته منذ المرة الأولى التي رآها فيها، وأنه مستعد لأن يتحمل أي شئ في مقابل الاقتران بها، وأنه يشرفه طلب يدها لشخصها وليس فقط لأنها ابنة الأستاذ، وكلام كثير قاله علي الجرايحي بعفوية شديدة، جعلت والد نجوان يستشعر الصدق في كلامه، ويزيد حبه له وثقته فيه، واطمئنانه على مستقبل ابنته معه.

والحقيقة أن المحامي الشاب لم يكن يمثل مشهدا سينمائيا مؤثرا أمام الأستاذ ولم يكن يكذب في كل ما يقول، وإن كان قد بالغ قليلا في إظهار لامبالاته بخبر مرض نجوان، فقد كان هذا الموضوع يقلقه بالفعل، لكنه لم يستسلم لهذا الشعور في نفسه.

ولاشك أن الجرايحي كان مدفوعا للاستمرار فى مشروع الزواج

من نجوان بحكم المصلحة، خصوصا بعد أن أصبح الذراع اليمنى للأستاذ فى المكتب، وبدأ يراوده حلم العيش مع حماه فى الفيلا الجميلة، لكن الطمع لم يكن وحده هو الذى يشد الجرايحى ناحية نجوان، فيبدو أنه أحبها بالفعل أو أحب أشياء معينة فيها لا يستطيع أن يحددها أو يضع يده عليها، فقد كانت رشيقة وراقية، وكانت رغم عصبيتها وطول لسانها حنون جدا، وترضيها كلمة بسيطة، وتكاد تطير من السعادة، عندما يقول لها عبارة غزل أو يقدم لها هدية حتى ولو كانت زهيدة الثمن.

وكانت نجوان من جانبها تحبه بجنون وتذوب فيه وفى شخصيته المميزة منذ اللحظة الأولى التى التقت فيها عيناها بعينيه، وكانت تغار عليه بشكل جنونى حتى أيام الخطبة، بل وقاطعت صديقتها الوحيدة بسببه، لمجرد أنها أثنت لها عليه وعلى وسامته واعتزازه الشديد بنفسه وعنايته بمظهره وملابسه.

ولم تتوقف هذه المرأة الغيورة أبدا عن إيقاع الجرايحي في مواقف كثيرة محرجة بسبب غيرتها القاتلة، منذ أول يوم ذهب فيه بصحبتها إلى النادى الراقي الذي تعتبره بيتها الثاني ويتولى والدها رئاسته الشرفية.

وهناك التقى بالصدفة زميلة قديمة له فى الكلية، ووقف معها دقائق معدودة تبادلا فيها بعض عبارات المجاملة، وتذكرا أيام الدراسة

والصداقة البرئية، وفوجئ علي بخطيبته تهجم عليه وعلى زميلته، وكأنها رأتهما فى وضع مشين وأخذت تكيل السباب واللعنات له وللفتاة، وبدا للجميع أنها فقدت أعصابها تماما وكأنها تحولت إلى بنت من الشارع، وليست فتاة ارستقراطية وابنة شخصية بارزة ومحامى مشهور وعضو مجلس شعب ورئيس للنادي.

واستطاع الجرايحى أن يضبط أعصابه بمعجزة، واعتذر وهو يكاد يموت من الغيظ والخجل لزميلته التى كاد أن يغمى عليها هي الأخرى من هول الصدمة، واصطحب خطيبته الهوجاء بسرعة إلى فيلا الأستاذ، حيث تناولت بعض الحبات المهدئة وطلب أبوها بعد أن شكر الشاب أن يتركها لتنام وترتاح، وزادت ثقته وحبه لتلميذه الذى تعامل مع الموقف بمنتهى الحكمة واللياقة، ولم يبد عليه أى نوع من التذمر أو الضيق.

وقرر الوالد أن يعجل بالزواج وذهب الجرايحى ليعيش معهم فى الفيلا، حتى بدأ نجمه كمحامى يلمع كثيرا وأسند إليه الأستاذ مهاما جليلة وترك له المكتب يديره تقريبا بالكامل، خاصة بعد أن بدأت صحته تتدهور مع تقدمه فى السن.

وجاءت وفاة والدة نجوان شريكة المشوار والكفاح لتقضى على ما تبقى من صحة الأستاذ ومقاومته ورغبته في الحياة ليموت بعدها بأقل من عامين.. وعاد الشقيق الطيار ليستقر فى مصر ويتولى منصبا

إداريا مهما فى شركة مصر للطيران، وقرر الزواج بعد أن تجاوز الأربعين، وتنازلت له نجوان بمحض إرادتها عن فيلا الاسكندرية ليعيش فيها هو وزوجته، وطلبت من الجرايحى أن يبحث لهم عن شقة أخرى مناسبة.

وكان المحامي الشاب قد بدأ يتوسع فى قضاياه، وأصبح له عمل كبير بالقاهرة.. وكان لا يزال يدير مكتب أستاذه ووالد زوجته حتى بعد وفاته فقرر إغلاق المكتب، والاستقرار فى القاهرة، واشترى شقة فخمة فى مصر الجديدة ليعيش فيها هو وزوجته التى لم تكن قد أنجبت بعد رغم مرور ما يقرب من عشر سنوات على زواجهما. ومنحته نجوان شقة أخرى ورثتها عن أبيها فى شارع قصر العينى لتكون مكتبا خاصا به لأول مرة منذ عمله بمهنة المحاماة.

وزاد إحساس نجوان بالوحدة وزادت نوباتها العصبية الحادة سوءا بعد أن فشل الأطباء فى معرفة السر وراء عدم قدرتها على الإنجاب، وطاف الزوجان بلاد العالم بحثا عن طبيب شاطر يحل اللغز، وعرفا طريق المشايخ والدجالين والمشعوذين وحفلات الزار.

وبعد إحدى عشر عاما كاملة لم يفقد فيها الجرايحي الأمل في إنجاب ولي العهد تحققت المعجزة، ورزقهما الله فى النهاية بسامح الذى ملأ وجوده عليهما الحياة، وأصبح قرة عين أبيه ودلوعة أمه.

وتحسنت حالة نجوان النفسية قليلا بالإنجاب، لكن غيرتها

زادت عن كل حد وأطبقت على رقبة الجرايحى، وجعلته يقضى أوقاتا طويلة فى المكتب وفى أى مكان آخر إلا البيت.

وكان غيابه الطويل عن البيت يشعرها بالجنون أكثر وأكثر، خاصة بعد أن بدأت علاقاته تتشعب وتضم سيدات مجتمع وفنانات ومذيعات وزوجات مشاهير وسيدات أعمال.

وبدأ اسم شاهيناز يتردد كثيرا فى أحاديثه القليلة مع نجوان، وألمح أكثر من مرة إلى رغبته فى أن يزوج ابنهما الوحيد من هناء الابنة الوسطى رائعة الجمال لموكلته وشريكته سمسارة الشقق والعقارات.

وقال إن هناء هي الفتاة التى كان يحلم بها دائما كزوجة لابنه الوحيد وأم لأحفاده، لكن نجوان قاومت بشدة هذه الرغبة بسبب غيرتها المعتادة من أى امرأة يذكر الجرايحى اسمها، وخصوصا شاهيناز هذه التى تشعر من كلامه عنها بشيء غير طبيعى يربط بينه وبينها.

وأصرت على ألا تذهب مع زوجها وابنها في زيارتهما الأولى لمنزلها، ورفضت كل محاولات الجرايحي لاقناعها بالحضور لترى بنفسها الفتاة التي ستصبح عروسا لابنها، وبدأت في البكاء بصوت مرتفع وجرى سامح ليحضر لها دواءها الذي تتناوله كلما أحست بقرب إصابتها بنوبة التشنج العصبية التي كانت تنتابها كلما وضعها أحد تحت ضغط عصبي، ورجاها زوجها بعشرة السنين والأيام المشتركة وحياة ابنها الوحيد ألا تفسد عليهم هذا اليوم لمجرد وساوس وغيرة

عمياء بلا سند أو منطق.

واستردت نجوان وعيها وتركيزها ورباطة جأشها وحاولت أن تنهي الجولة لصالحها، لكنها فشلت في النهاية في إثناء زوجها وابنها عن إتمام هذه الزيجة التى كان الجرايحي متحمسا لها لأسباب كثيرة من بينها البيزنس والشراكة التي تجمعه بشاهيناز، فضلا عن اقتناعه التام بأنه لن يجد لإبنه الوحيد أجمل أو أرق من هناء، أما سامح نفسه فقد تحمس لهذا الزواج لدوافع أخرى.

-٥-

كان سامح خارجا لتوه من تجربة عاطفية مؤلمة، حين فاتحه أبوه فى أمر الزواج من ابنة صديقته وشريكته مدام شاهيناز وظل يصف له ما تتمتع به هناء من جمال وأخلاق رفيعة وهدوء وشخصية ساحرة، ولم يكن يعرف أنه يلقى لابنه بطوق نجاة، ويمنحه فرصة لا تعوض للهروب من أسر الحياة فى ذكرى تؤرقه وتعذبه وتحرمه من النوم ليال طويلة.. فقد أحب سامح لأول مرة فى حياته من أعماق قلبه، وأخلص فى حبه وهو لا يدرى أن خيبة الأمل ستكون فى النهاية هى مكافأته على هذا الإخلاص.

وقال لنفسه معزيا..إنها طباع الأجانب..فقد كانت حبيبته التى خيبت أمله فيها وأفقدته إيمانه بالحب ورغبته في الحياة نصف مصرية ونصف أجنبية، ولكن الطباع الغربية هى التى غلبت عليها فى

النهاية، ويبدو له الآن أن تحفظها الشديد معه، ومظهرها الجاد الوقور، وخطواتها المحسوبة، والوظيفة المميزة التي تشغلها فى إحدى شركات الفندقة العالمية،رغم أنها لم تتجاوز الثالثة والعشرين من عمرها.. هذا العمل المهم الذى يستغرق معظم وقتها ولا يعطيها أى فرصة للراحة، أو يجعلها تشعر بشىء من الفراغ، أو يتيح لها أى وقت للهو أوالعبث.

يبدو له الآن أن هذا الخليط العجيب بين سحر الشرق وجمال وتحرر الغرب هو الذى جذبه لأول فتاة يخفق لها قلبه بشكل حقيقى، بعد عدة علاقات طيارى وتجارب رومانسية خايبة فى فترة المراهقة، ومحاولات ساذجة من فتيات تافهات شدهن إليه وسامته والبدلة الميرى التى يرتديها وشخصيته الهادئة الوقورة، لكن سارة كانت مختلفة عن كل من عرفهن من الفتيات.

تعرف عليها فى مأمورية رسمية حين كان على رأس قوة لحراسة وفد سياحى فى رحلة له إلى منطقة الواحات بالصحراء الغربية. وكان سامح يعمل بفرع شرطة السياحة فى الوادى الجديد، وجاءتهم تعليمات مشددة من المستوى الأعلى بتأمين الفوج السياحى بعد أن شهدت هذه المنطقة اختطاف ١١سائحا ألمانيا وايطاليا وثمانية مصريين قبلها بشهور قليلة.

وبدأت الرحلة من الواحات البحرية التى تعتبر البوابة التى يتم

الدخول منها إلى بقية الواحات فى الصحراء الغربية، حيث وصل الوفد الأجنبى وعلى رأسه سارة فتاته المصرية الاسترالية التى تجمع بين ملامح الملكة نفرتيتى ذات الشعر الأسود المنسدل على كتفيها، وبين الملكة الإغريقية التي حكمت مصر كليوباترا ذات الجسد الأفعواني والعيون الزرقاء والأنف الروماني.

وكانت سارة تبدو لمن يراها بالفعل باعتزازها الشديد بنفسها ونظراتها الواثقة وملامحها الارستقراطية وكأنها ملكة من ملكات الإغريق.

وكان الوفد يتكون من ١٦ فردا كلهم من العاملين فى فروع الشركة السياحية العالمية فى مصر، وعينت الشرطة المصرية حارسا مرافقا لكل سيارة من سيارات الدفع الرباعى الخمسة التى استعملها هذا الفوج السياحى.

ومكث الفوج لفترة قصيرة فى منطقة "الباويطى"، المدينة الرئيسية بالواحات البحرية ثم توجهوا إلى منطقة "أم اللفاع" على بعد ٢٠ كيلو مترا من الباويطى،ثم دخلوا بعدها إلى الصحرة السودة، على مسافة تتجاوز ٣٠ كيلو مترا ثم انتقلوا إلى جبل الكريستال. وأخذ السائحون من هذه المنطقة الساحرة قطعا من أحجار السيلكاجلاس النادرة كتذكار، بعد أن عرفوا أن البعض اعتاد تهريبها من مصر وبالتحديد من منطقة الجلف الكبير وبيعها فى أوروبا بمبالغ خيالية

تصل إلى نحو ٢٠ دولار للجرام الواحد من هذا الحجر النادر، مستغلين أن قانون الجمارك المصرى لا يجرم تداول هذه الأحجار واصطحابها إلى خارج البلاد.

وخطفت سارة منذ البداية انتباه سامح وجعلته يشعر منذ الوهلة الأولى التى التقت فيها عيناه بعينيها أن شيئا ما غير عادى سيحدث بينهما، إلا أنه لم يجد فرصة سانحة للاقتراب منها سوى بعد أن طلب المرشد السياحى المرافق للوفد أن يقيموا مخيما فى منطقة "عين النسر" حتى يرتاحوا قليلا من عناء تلك الرحلة الشاقة، لحين شروق الشمس ثم يتوجهون فى الصباح إلى الصحراء البيضا.. ثم إلى عين الدالة ويكونوا بذلك قد وصلوا إلى نهاية الرحلة فى الواحات البحرية.

وفى أول لقاء يجمعهما بعيدا عن الوفد السياحي ورجال القوة الأمنية التي تحرسه، وعلى بعد خطوات قليلة من المخيم، فاجأت سارة الضابط الشاب بسؤال غريب وجهته له على طريقة الأجانب في نطق كلمات وحروف اللغة العربية.. وقالت له:

أنا واخدة بالي إنك طول الرحلة بتبص لى.. إحنا نعرف بعض قبل كده يا كابتن؟.

وبهت سامح من السؤال، وتلعثم كثيرا قبل أن يرد عليها:

الله..الله..ما انتى بتعرفى عربى اهه وبتتكلمى كمان باللهجة المصرية.

ردت سارة بدلال وهى تحاول تقليد الفتاة المصرية الدلوعة:

-امال يا باشا.. أنا مصرية بنت مصرى، شربت من نيلها وجربت أغنيلها.

ورد سامح وهو يكاد يطير من الفرح.

-وكمان حافظة أغاني مصري.

وأخذ يدندن ببقية كلمات الأغنية "ما شربتش من نيلها..جربت تغني لها".

وبدا الاثنان وكأنهما كانا ينتظران هذه الفرصة للانطلاق في حديث لم ينقطع أبدا طوال الرحلة.

وحكت له سارة قصة والدها المصري الذى هرب من الظلم والقهر والضغوط النفسية والمعنوية التي مورست عليه في عمله بمصلحة الآثار، واضطر لأن يترك بناته الثلاثة وهن في عمر الزهور ويهاجر الى استراليا، حيث تعرف في نفس عام وصوله الى هناك على أمها برتغالية الأصل وتزوج منها وأنجب ابنته الرابعة في المهجر.

وحكت له أيضا عن معاناة أباها مع زوجته المصرية، وكيف شعر في لحظة يأس أنه لم يعد يتحمل ضغوطها وطموحها الزائد

وتطلعاتها التي لا تقف عند حد.

ولم تخجل أن تذكر له حتى الكلمات التي كان والدها يقولها لها والدموع تختنق في عينيه..الكلمات التي كانت شاهيناز تعاير بها أباها فخري الريس وتذكره بأنها إبنة الحسب والنسب وسليلة عائلة لاظوغلى باشا، وهو مجرد موظف بسيط فى مخازن مصلحة الآثار ليس لديه طموح، ولم يستفد شيئا من دورات الارشاد السياحى التى شجعته على الحصول عليها، حتى يترك العمل فى مخازن الهيئة ويتجه إلى العمل في السياحة.

كانت الزوجة المتطلعة تريد أن تدفع زوجها لترك العمل في الحكومة والاتجاه الى مجال الارشاد السياحي، حيث الدخل الأفضل والمكانة الأحسن والعلاقات المتشعبة بأناس من مختلف الدول والشعوب والجنسيات، لعل هذه المهنة الجديدة تنتشلهم من حياة الشظف والفقر التى لم تتعود عليها أبدا فى بيت والدها، والذى لم يكن ثريا بالمعنى المفهوم، لكنه كان ذي سلطة ونفوذ، وضابط مشهود له بالكفاءة، ووصل في سن صغيرة للغاية الى منصب الحكمدار، وورث عن والده قطعة أرض زراعية كبيرة ظل يبيع فيها جزءا جزءا حتى يوفى هو الآخر طلبات أمها تركية الأصل التى لم تكن تنتهى.

ولم تتمالك سارة نفسها وسالت دموعها وهى تحكى لسامح

فى منتهى البساطة والعفوية ذكريات الذل والهوان التى عاشها والدها مع زوجته الأولى وأم بناته، وكيف تركت له المنزل، وذهبت لتعيش فى بيت والدها، حتى تجبره على أن يترك وظيفته ويعمل فى الارشاد السياحى أو أى عمل آخر يأتيه بالدخل الوفير، وحين يئست من استجابته لها، طلبت منه الطلاق ثم رفعت عليه قضية أمام المحكمة حين رفض أن يطلقها ودفعت في دعوى طلبها للطلاق بعدم التكافؤ بينهما في المستوى الاجتماعى.

واستغلت علاقتها بأحد المحامين النافذين الى دوائر السلطة والقضاء، ونجحت فى الوصول إلى القاضى الذى حكم لها بالطلاق وحضانة البنات.

وكاد الزوج أن يجن بعد أن حرمته الزوجة العنيدة القاسية من بناته، وغرق لفترة في شرب الخمور وتعاطي المخدرات، لعله يغرق فيها همومه وإحباطاته وإحساسه بالظلم والهوان، وفكر أكثر من مرة في الانتحار، لولا أن صديقا له أقنعه بأن ينساها وينسى مصر كلها ويتقدم معه بطلب للهجرة إلى استراليا.

وبعد مقابلة عسيرة مع القنصل واجراءات طويلة، كاد فخري وصديقه يفقدان خلالها الأمل في تحقق حلمهما بالهجرة، وافقت السلطات الاسترالية في النهاية على طلبهما.

سافر فخري وصديقه إلى القارة الجديدة، أرض المطرودين من جنة بلادهم إلى دنيا الأحلام، وعملا فى البداية فى مدرسة لتعليم

أبناء الجالية العربية فى "ملبورن"، حيث تعرف على زميلته البرتغالية الأصل بريدجيت، والتى كانت تعمل هى الأخرى كمدرسة فى نفس المدرسة، وتزوجا وأنجبا سارة بعد تسعة أشهر بالتمام والكمال من الزواج.

لكن الأب لم ينس أبدا مصر، ولم ينس بناته اللاتى اختطفتهن أمهن منه بحكم قانونى جائر، وحرص على أن يعلم سارة اللغة العربية ويحببها فى مصر والمصريين ويجعلها تواظب على مشاهدة الأفلام المصرية، وتستمع إلى أغنيات أم كلثوم ومحمد عبدالوهاب وعبد الحليم حافظ ونجاة وشادية التى كان يعشقها ويحفظ معظم أغانيها.

وكانت وصيته الأخيرة لها قبل أن يموت أن تنتهز أى فرصة وتسافر إلى مصر للبحث عن أخواتها غير الشقيقات واللاتى انقطعت تماما أخبارهن عنه منذ أن هاجر إلى استراليا.

وكان هذا الدافع هو السبب الرئيسي الذي جعل سارة لا تتردد ولو للحظة واحدة فى قبول المهمة التى أوكلتها لها شركة سلسلة الفنادق العالمية التى تعمل بها للسفر إلى مصر والإشراف على تطوير أحد فروعها هناك.

وما كادت سارة تنتهى من حكايتها حتى تنبهت فجأة إلى غرابة ما فعلته، واعتذرت لسامح عن اقحامها له فى أمور شخصية لم تبح لأحد بها من قبل، واندهشت كثيرا لهذة الأريحية التي تحدثت بها

معه، رغم أن المعروف عنها أنها شخصية انطوائية الى حد ما ومتحفظة الى حد كبير ولا تركن أو ترتاح للناس بسرعة، ولا تفتح لهم قلبها بسهولة.

لكن شيئا ما في هذا الشاب جعلها تشعر وكأنها تعرفه منذ زمن بعيد، أو أن هناك حكاية أو شئ ما سيجمعهما معا.

وحين سمع منها سامح هذا الكلام لم يصدق نفسه من فرط الفرحة، وأوشك على أن يحتضنها ويقبلها، لكنه تراجع في اللحظات الأخيرة، لكن كلامها شجعه على الاعتراف لها بحقيقة مشاعره تجاهها منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها مع الوفد.

واعترف لها بكل صراحة وبدون مواربة أو لف ودوران بأنه يحبها..وأنه لم يكن يؤمن بمسألة الحب من أول نظرة التي كان يقرأ عنها في الروايات ويسمعها في الأغاني ويشاهدها في الأفلام الرومانسية، لكنه شعر بأن قلبه قد خطف منه، ولم يعد ملكه، منذ اليوم الأول الذي تم تكليفه فيه بحراستها هي والوفد الأجنبي في صحراء الجلف الكبير.

وأقسم لها بأنه هو الآخر ليس من النوع المتسرع في أحكامه أوالمراهق في مشاعره، وأنه تعرف قبلها على عشرات الفتيات، لكنه لم يشعر أبدا بهذا الاحساس تجاه أي فتاة.

وظل سامح يتحدث طويلا، وهي تستمع له في انبهار

وهدوء..حدثها عن حبه للشعر والرسم، وعن الأغنية التي كتبها عن البنت الحلم، ووجد أن كلماتها ووصفها ينطبق تماما عليها..

البنت الحلم البنوتة

ف عينيها حكاية وحدوتة

يحكيها الليل للصبحية..

يعزفها الناي تحت التوتة..

البنت الحلم المتفائلة..

عن كل همومي مش ساءلة

محتاجة حياتك كام نقلة

وهتبقى اسم الله عليك جوتة

البنت الحلم الجنية

سحرتني بنظرة حنية..

وخدتني وعوض الله عليا

كوكتيل من تيتي وستوتة..

وشرح لها ما يقصده بهذا الوصف..وقال لسارة إن تيتي هي نفرتيتي أو الحلوة تيتي باللغة الهيروغليفية القديمة، وستوتة هي رمز البنت الفلاحة المصرية الحقيقية، وهي أيضا بهية عند بعض الشعراء

مثل أحمد فؤاد نجم وصلاح جاهين وعبد الرحمن الأبنودي وغيرهم، وأنه كان يرى تلك البنت الحلم في كل صورة لفتاة جميلة يحلم بها، وأنه رسم ملامحها في أكثر من لوحة وكان يبحث عنها في كل الوجوه حتى رأى سارة، ووجدها صورة طبق الأصل من فتاة أحلامه، ليس فقط على مستوى لون العيون والشعر والملامح، لكن أيضا الروح..روح نفرتيتي وطلة أوزيريس.

وانبهرت سارة وهي تستمع الى تلك التشبيهات الرقيقة والكلام الرومانسي الناعم الذي لم تتوقعه أبدا من ضابط الشرطة العملاق، وسرحت قليلا فيما يقول ثم تنبهت اليه وهو يعتذر لها عن تسرعه في البوح لها بهذا الاعتراف، ويقسم هو الآخر بأن هذه ليست طبيعته، وأنه لم يندفع يوما فى حياته فى حب امرأة أو فى أى شيء آخر.

وأن موقعه الرسمى كضابط لحراسة الوفد السياحى الذي يضم سارة يحتم عليه أن يكون أكثر عقلا واتزانا والتزاما، لكنه لا يعرف لماذا اعترف لها بهذا الشعور الذى انتابه منذ اللحظة الأولى التى رآها فيها بعد تكليفه بالمهمة.

وقال لها إنها لاحظت بنفسها كيف كان لا يستطيع رغما عنه أن يرفع عينيه عنها طوال الطريق، وأنه اختار متعمدا أن يستقل معها نفس السيارة، وكان يجلس بالطبع بجوار السائق لتأمين من فيها،

واعترف بأنه فوجئ بأنها لاحظت انبهاره بها، وكانت سعادته لا توصف حين تحدثت إليه بالعربية، وهو الآن يكاد يطير من الفرحة لأنه عرف أن أباها مصرى، وأن شيئا ما فيها كان يقول له إنها تنتمى إلى ذلك البلد وتلك الحضارة.

ولم ترفض سارة في البداية حب سامح، ولم تعده في نفس الوقت بشئ ولم تعترف له بأنها تبادله هي الأخرى حبا بحب لأن ذلك لم يكن بالفعل شعورها الحقيقي نحوه، فقد كانت تشعر فقط بشئ غامض يجذبها نحوه وكانت مرتاحة في الوقت ذاته لصراحته ومعجبة بأسلوبه ورجولته وشاعريته، لكنها وضعت منذ البداية عدة قواعد وخطوط حمراء لن تسمح له أبدا بتجاوزها إذا أراد الاستمرار فى التواصل معها.

-٦-

منذ اليوم الذى اعترف فيه سامح بحبه لسارة وهو لا يفعل شيئا آخر سوى التفكير فيها، ويقضى الفترة المحدودة المسموح له بها بعيدا عن العمل فى التحاور معها عبر نظام الشات على شبكة الانترنت، ويصطحب معه الكمبيوتر الشخصى "اللاب توب" الخاص به فى كل مكان يذهب إليه، ويعرف أن هذه هى الوسيلة الوحيدة التى يمكن من خلالها التواصل بينهما بسبب انشغالها الشديد فى مهمة العمل على تطوير فرع أحد الفنادق الكبرى في مصر.

وكانت الشركة العالمية متعددة الجنسيات قد كلفت سارة بهذه المهمة، ثقة منها في قدراتها رغم صغر سنها وحداثة تعيينها في الشركة، وطلب منها رؤساؤها أن تكتب تقريرا شاملا عن أساليب التطوير، وكيفية الخروج من أزمة التراجع الشديد فى ايرادات فرع فندقها بالقاهرة وقلة نسبة الاشغال فيه.

ولم يكن سامح يملك هو الآخر وقت فراغ كبير، فهو واحد من أنشط ضباط شرطة السياحة، ورؤساؤه يعتمدون عليه فى المهام الصعبة.

وكانت صفاته الشخصية المميزة وقوة تكوينه الجسماني وذكاؤه الفطري ولياقته البدنية والذهنية العالية، واتقانه للغة الإنجليزية بحكم تخرجه من إحدى مدارس اللغات،هي جواز مروره لقلوب وعقول قياداته في الادارة، بالاضافة إلى الوساطة التي وفرها له والده بالطبع لاختياره للعمل فى شرطة السياحة.

ورغم أن سامح لم يلتق سارة إلا مرات قليلة للغاية، بسبب انشغالها في خطة تطوير فرع الفندق، إلا أنه كان قانعا بحواراتهما التليفونية وبأحاديث الشات، واحترم منذ البداية شرطها الأساسي لاستمرار العلاقة بينهما، وهو ألا يفاتحها على الأقل حتى تنتهي من مهمتها في مصر في أمر الارتباط بها، خاصة وأنها تعرف أن هذا الموضوع هو عقدة الشرقيين، والذين ما يكاد الواحد منهم يتعرف

على فتاة حتى يصبح موضوع الزواج هو شغلهما الشاغل، دون أن يعطوا أنفسهم فرصة كافية للتفكير أو اختبار مدى قدرة كل منهما على التعايش مع الآخر أو دراسة الشريك، والتأكد من أنه الشخص المناسب لقضاء بقية مشوار الحياة معه.

ولم يكن سامح مقتنعا تماما بهذا الكلام، وكان خائفا للغاية من النصف الغربي فى تكوين شخصية وثقافة سارة،وهو وإن كان قد أقام علاقات سابقة مع فتيات بهدف التسلية أو تمضية الوقت أو حتى الفراغ النفسي والعاطفي.

لكنه كان جادا تماما هذه المرة، ولم يكن ينظر إلى سارة باعتبارها نزوة أو نزهة عاطفية مع فتاة تنتمي إلى حضارة وثقافة مختلفة،ولكنه كان يراها منذ البداية فتاة أحلامه التي ظل طوال حياته يرسم لها صورة مثالية في خياله سواء بالريشة في لوحاته، أو بالقلم والكلمات في أشعاره.

أما سارة فقد كانت صريحة معه منذ البداية، وقالت له إنها عاشت حياتها كلها فى استراليا على الطريقة الغربية، ومع أنها تستطيع أن تتفهم العقلية الشرقية، باعتبار أن والدها الذي أحبته كما لم تحب أحدا في الدنيا كان رجلا شرقيا، لكنها لا تشعر بالانتماء الى هذه الطريقة في التفكير والتصرف، وتتندر على بعض المواقف السخيفة التي كانت الظروف تضعها فيها في مواجهة والدها الراحل.

وكانت تلك المواقف العابرة تكشف لها إلى مدى لم يتغير هذا الرجل أو يتأثر بالجو والحياة والمجتمع الجديد الذي أصبح يعيش في وسطه، وكيف كان يغضب ويثور مثلا في وجهها كلما اصطحبت زميلا لها إلى المنزل ويقول لها بالانجليزية وهو يكاد يتمزق من الغيظ.. نو سارة..اي هاف نو هورنز..لا يا سارة أنا مش مركب قرون!.

وكانت أمها تتدخل فى كل مرة لفض هذا الاشتباك، وتذكره بأنه يعيش الآن فى مجتمع يختلف كل الاختلاف عن المجتمع الشرقى الذى عاش فيه طفولته وشبابه، وعليه أن يندمج بكل كيانه فى العالم الجديد، وينسى تماما عاداته وطباعه القديمة، أو على الأقل يترك ابنته تعيش بالطريقة التى تريدها.

والحقيقة أنه كان يستجيب أحيانا ويتيح لابنته الحرية التي حرم هو شخصيا منها، ولكنه كان في أحيان أخرى يحرن ويعند ويدخل في مواجهات عنيفة معها ومع بريدجيت، ولا تنسى اليوم الذي بكى فيه بحرقة لأول مرة أمامها وهو يرجوها ألا تغادر المنزل وتذهب لتعيش وحدها في غرفة استوديو استأجرتها هي وزميلة لها عقب تخرجها من الجامعة مباشرة.

وقالت لسامح إنها تشرب الخمور أحيانا فى بعض المناسبات والحفلات وأن هذا السلوك جزء مهم من طبيعة عملها، وأنها تعرف أنها مسلمة والإسلام حرم الخمر، لكنه حرم أشياء أخرى كثيرة، ومع

ذلك فمعظم المسلمين يقترفون هذه المحرمات.

وأغضبه كلامها للغاية حين ادعت أنها تفهم نفسيته وتركيبته الشرقية جيدا، وقالت إنها تعرف أنه لن ينزعج كثيرا إذا عرف أنها ليست عذراء أو تشرب الخمور، ما دامت ليست زوجته أو ليست فى عصمته.

وما دامت لم تصبح بعد من بين ممتلكاته، لكنه سينزعج بشدة من مثل هذه الأشياء حينما يفكر في الزواج منها، ساعتها سيفكر كثيرا في تلك الأمور التي يراها الآن تافهة، وستشغل باله حتى ولو لم يعترف لنفسه أو لها بذلك، فهي تعرف جيدا كيف ينظر الرجل الشرقى إلى علاقته بالمرأة، وهى لذلك لا تريد الزواج منه، على الأقل الآن أو على الأقل حتى يقتنع بأن أسلوب حياتها وطريقة تفكيرها وثقافة المجتمع الذي ولدت ونشأت وعاشت فيه هو الذى يحتم عليها أن تسلك هذا السلوك وتتصرف وتعيش بتلك الطريقة.

وهي لا تنوى الاستقرار فى مصر، ومتأكدة من أنه لا يستطيع هو الآخر أن يتخلى عن عمله، ويترك والده ووالدته ويذهب ليعيش معها فى استراليا، أو فى أى مكان آخر تختاره لها الشركة التى تكلفها بمهام كثيرة فى بلدان مختلفة.

ولذلك فهي تعرف منذ البداية أن هذه العلاقة محكوم عليها بالفشل، والطلب الوحيد الذى طلبته من سامح هو أن يساعدها فى

البحث عن أخواتها غير الشقيقات اللاتى لا تعرف شيئا عنهن أو عن المكان الذي يعشن فيه والمصير الذي آل إليه حالهن.

وقالت له إن والدها الراحل كان قد أعطاها صورة قديمة لزوجته السابقة وأم بناته وكتب لها اسم هذه السيدة بالكامل، وكانت تضع هذه الصورة في حقيبة، وتصطحبها معها في كل مكان.

ورغم أن الحقيبة سرقت من غرفتها في الفندق الذي كانت تقيم فيها أثناء تأدية إحدى مهام عملها في جوهانسبرج بجنوب افريقيا، لكنها تذكر جيدا اسم هذه السيدة وهو شاهيناز شوكت.

وأرسلت سارة لسامح على عنوان بريده الاليكتروني صورة شخصية لوالدها، لعلها تساعده فى العثور على تلك السيدة وبناتها، ثم انقطعت أخبارها عنه لفترة طويلة، ولم تعد ترد على اتصالاته، ولاحظ أنها تتهرب منه، وتغلق بريدها الاليكتروني بسرعة، حين يدخل على الخط ليتواصل معها عن طريق الشات، فأرسل لها رسالة يستفسر فيها عن سر هذا التحول المفاجئ.

وردت عليه برسالة على الاميل تقول له فيها إنها تعرفت على شاب إنجليزى يعمل معها فى نفس الشركة أثناء رحلة طيران إلى لندن، حين ذهبت إلى هناك في مهمة عمل كلفتهما بها الشركة، وأنها شعرت بانجذاب شديد إليه.

وتعمدت سارة أن يعرف سامح ذلك حتى لا يتمادى فى حبه

لها، وذكرته بأنها كانت واضحة معه منذ البداية، ولم تخدعه أو تعده بشئ، بل بالعكس قالت له بكل صراحة إن علاقتهما لا يمكن أن تستمر طويلا، أو تتوج بالزواج لأنها تنتمى رغم ملامحها وأصولها المصرية إلى ثقافة وحضارة تختلف تماما عن ثقافته وحضارته.

وكان حوار اختلاف الثقافات هذا يأخذ وقتا طويلا في النقاشات بين سامح وسارة، وكانت هي تصر على أن الشرق شرق والغرب غرب، ولا يمكن أن يلتقيا حتى في جسد امرأة نصفها شرقي والنصف الآخر غربي، وكان يحاول هو من جانبه أن يقنعها بأنهما يمكن أن يلتقيا في نقطة المنتصف.

وكتب لها في إحدى المرات رسالة طويلة ينفى فيها أن يكون اختلاف النشأة والثقافة بينهما عائقا ضد ارتباطهما، وذكر لها عشرات النماذج من مصريين تزوجوا بأجنبيات، وكانت زيجاتهم فى منتهى النجاح، ربما أكثر من زواج المصريين بالمصريات. واستشهد بأسماء شهيرة ومعروفة لأدباء ومفكرين كبار مثل عميد الأدب العربي الراحل د.طه حسين، ود.رشدي فكار،ود. حسين مؤنس وغيرهم تزوجوا من غربيات خالصات وليس مجرد نساء نصفهن غربي والنصف الآخر شرقي وحققوا نجاحا كبيرا في زيجاتهم، وكانت زوجاتهم الأجنبيات خير عون لهم على مواصلة طريق التألق والكفاح.

لكن سارة لم ترد على الرسالة، فعاود الكتابة لها مرات ومرات،

وردت عليه فى النهاية برسالة من سطر واحد تقول فيها: "آسفة أنا أحب مايكل.. وأعيش معه الآن".

وفقد سامح اتزانه لفترة طويلة ولم يعد الشاب المتفائل المنطلق المحب للرياضة والفن والشعر والحياة، أصبح كئيبا مكتئبا ولم يعد يتبادل مع والديه سوى كلمات قليلة على الغذاء أو العشاء، ولم يعد يراهما كثيرا بسبب تنقله الدائم بين القاهرة وشرم الشيخ والأقصر والإسكندرية بحكم طبيعة عمله فى شرطة السياحة.

وانفطر قلبي نجوان والجرايحي على ابنهما الوحيد الغارق في الهموم على غير عادته، وهو ما دفع الأب لأن يبحث له عن عروس تملأ عليه حياته وتمنحه السكينة والونس والولد،خاصة بعد أن أصبحت نجوان أكثر شراسة وعصبية منذ أن ابتعد سامح عنها بعد تخرجه من كلية الشرطة، وتنقله المستمر بين أكثر من مكان وأكثر من مدينة.

ووقع اختيار الجرايحي على هناء ابنة صديقته وموكلته وشريكته شاهيناز شوكت ليس فقط رغبة منه فى توثيق العلاقة مع والدتها التى أثبتت الأيام صواب نظرته فيها وتوقعاته لها.

فقد كان المحامي الخبير بالناس والحياة متأكدا منذ تعرفه على شاهيناز أنها ستصبح بفضل ذكائها وجمالها الذى لم تفلح السنون في إطفاء جذوته، وقدرتها على النفاذ إلى دوائر السلطة والنفوذ، وفي فترة قريبة جدا واحدة من أكبر وأشهر سيدات الأعمال فى مصر.

وتأكد له صدق هذا التنبؤ بعد أن اقترنت بالزواج بعقد عرفى كتبه لها بنفسه فى مكتبه برجل الأعمال وحوت العقارات عزت النعيمي.

ومع ذلك فلم تكن المصلحة وحدها هي التي دفعت الجرايحى لاختيار هناء عروسا لابنه الوحيد، فقد كان يكن حبا عميقا لبنات شاهيناز الثلاثة، وخاصة لهناء التي كان يعتبرها الابنة التى لم تنجبها له نجوان.

وكان لا يشعر بأى ضيق حين تطلب منه شاهيناز أن يحضر حفلاتها فى المدرسة بديلا عن والدها، وكان يقوم بهذا الدور بحب شديد وعن طيب خاطر كصديق لعائلة شاهيناز وحامى حماها، ومحاميها ووكيل أعمالها وشريكها فى نفس الوقت.

وكانت هذه العلاقة الحميمة مع شاهيناز وبناتها تغضب نجوان الغيورة بطبعها كل الغضب، ولذلك حرصت على أن تبعد سامح عنهم، وقاومت منذ البداية كل محاولات الجرايحي للتقريب بينه وبين بنات شاهيناز، خاصة وأن نجوان كانت تشك أحيانا أن على وشاهيناز تزوجا سرا ومن ورائها،وكانت تراقب أحيانا تليفوناته وتتنصت على مكالماته، وتتشمم ملابسه لعلها تجد فيها رائحة عطر امرأة أخرى يقول عقلها لها أنها بالتأكيد شاهيناز.

ولم ترتح نجوان أبدا لهذه المرأة صاحبة الشخصية الاستعراضية حين التقت بها مرة واحدة في حفل عيد ميلاد إحدى بناتها.

وتتذكر هذا اليوم جيدا وتتذكر كيف ألح عليها زوجها أن تصطحبه هي وسامح لحضور عيد الميلاد، فوافقت بدافع الفضول فقط حتى تتعرف على تلك الشخصية التي لا يمل الجرايحي من الحديث عنها، ومن يومها وهى لا تطيق سماع اسمها وتلح على زوجها أن يبتعد عنها وعن أعمالها، وترجوه أن يطلب منها أن تبحث لها عن محام آخر غيره.

وحتى حين اعترف الجرايحي لزوجته بأنه كتب بيده عقد زواج شاهيناز ورجل الأعمال عزت النعيمى، لعلها تهدأ أو تخفف من غيرتها بعد أن أصبحت المرأة في عصمة رجل آخر، لم يغير هذا الاعتراف في الأمر من شئ، بل بالعكس زاد ضيق نجوان من شاهيناز وهجومها عليها،ووصفها لها بأوصاف جارحة.

ولم تقتنع أبدا بالمبرر الواهي الذي ساقه الجرايحي دفاعا عن صديقته وموكلته لتبرير زواجها السري من عزت النعيمي، وهو أن شاهيناز اضطرت لهذا التصرف حتى لا تجرح مشاعر بناتها، ولا تستعدى على النعيمي زوجته الأولى وأولاده منها.

وشعرت نجوان أكثر وأكثر بخطورة هذه المرأة وتأثيرها العجيب على الرجال، وزادت حدة غيرتها منها، ولم يزدها هذا الخبر سوى شكا فيما يمكن أن تفعله أو تفكر فيه سيدة بهذا الجمال والدهاء تستطيع أن تلعب بالبيضة والحجر.

و لذلك حين فاجأها الجرايجى بأنه سيخطب هناء لابنهما سامح حتى يخرجه من حالة التوهان والاكتئاب التى يعيش فيها فى الفترة الأخيرة، غلى الدم فى عروقها وثارت فى وجهه ثورة عارمة ورفضت أن تذهب معهما فى أول لقاء رسمى للتقدم لخطبة البنت. بل وحاولت أن تثنى سامح عن الارتباط بهذه العائلة المريبة، لكنه لم يلق بالا كثيرا لكلامها، وكان كل همه أن يرضى والده الذى بدا متحمسا تماما لهذه الزيجة.

ووجد سامح فى موضوع الخطبة والارتباط فرصة لنسيان حكايته مع سارة، كما كان مدفوعا كذلك بالفضول للتعرف على تلك العائلة التى يسمع عنها كثيرا من والده، ولم تتح له فرصة اللقاء بهم إلا مرة واحدة في حفل عيد ميلاد صاحب منذ عدة سنوات، أفسدته والدته بغيرتها وكراهيتها لصاحبة البيت، وكان يريد أيضا أن يرى بنفسه هناء التى يقول أبوه إنها ابنته التى لم ينجبها.

-٧-

ما كادت "أمنية" تفيق من أثر الصدمة التى نزلت على رأسها كالصاعقة، وتتمالك أعصابها قليلا من هول المفاجأة التى لم تخطر لها على بال أو خاطر،ولم تكن تتصور أو تتوقع فى يوم من الأيام هى أو أختها أن تأتي اللحظة المشئومة التي يمكن أن يمس فيها أحد أيا كان هذا الشخص أمها وسمعتها بسوء، ما كادت أمنية تعود إلى رشدها وتحاول بدون جدوى السيطرة على نفسها، حتى فتحت أمها الباب

فجأة وهى تقول..

– إيه يا بنات ماحدش فيكوا بيرد ليه.. للدرجة دى يعنى الموضوع اللى بتتكلموا فيه سرى وخطير.. أنا سامعة صوتكم من بره، إيه الحكاية.. زى ما يكون حد فيكو كان بيبكى..إيه ده يا هناء.. ماكياجك سايح كده ليه.. فيه إيه يا عروسة.. العريس مش عاجبك ولا إيه.. ده واد طول بعرض وزى فلقة القمر.

وظلت شاهيناز تتكلم وحدها وكأنها تحدث نفسها، ولم تنبس هناء أو أمنية بحرف واحد وكأن البنتان لا تسمعان شيئا مما تقوله الأم، ولم تجرؤ إحداهما على أن تفاتح والدتهما فى الموضوع الخطير، الذى زلزل كيان ثقتهما فيها.

وأحست الأم بذكائها الفطرى أن الحكاية فيها شىء وأن البنتين تخفيان عنها أمرا ما، وهي التي كانت تشعر بدبة النملة في هذا البيت.

وتستطيع بقلب الأم وفراسة المرأة أن تحس بأى بنت من بناتها إذا كانت حزينة أو خائفة أو تخفى شيئا فى نفسها، بمجرد أن تنظر إلى عينيها..فرغم أنها تربت في بيئة صارمة ومحافظة للغاية،وعاشت معظم طفولتها وشبابها وهي لا تستطيع أن تفتح عينيها في عين اباها أو أمها، ولا تستطيع أن تناقشهما في شئ أو تعارضهما في رأي، إلا أنها عودت بناتها على الكلام معها بمنتهى الجرأة والصراحة.

ولم تكن تخفى عنهن شيئا من علاقاتها مع الواصلين والنافذين إلى دوائر السلطة حتى تستطيع بواسطتهم تسليك أمورها وإنجاز مصالحها، وربتهن على مواجهة الناس بمنتهى القوة والثقة فى النفس.

ولم ترض أبدا أن يعاملها الآخرون على أنها "الولية" مهيضة الجناح قليلة الحيلة التى تمشي بجوار الحائط وتربى بناتها بعيدا عن العيون والآذان بعد أن طلقت من زوجها، وتركها وترك البلد كلها لها وهاجر إلى أبعد مكان فى الدنيا حتى يأمن شرها وجبروتها.

وكانت مستعدة لأن تتحمل نظرات الناس إليها على أنها المرأة الظالمة المتطلعة المفترية التي سقط زوجها من ناظريها ولم يستطع أن يرتفع بمستواه وطموحه الى تطلعاتها التي لا تقف عند حدة، على أن يستهينوا بها أو يعتبرونها مجرد أنثى ضعيفة وصيد سهل وغزال شارد عن القطيع بلا حام ولا سند.

والحقيقة أنها كانت من داخلها أضعف وأهون مما يتوقع الجميع، كانت تريد فى البداية أن تدفع زوجها الخامل الكسول لكى يكون له هدف أكبر فى الحياة، ويتمرد على حياة الموظف الروتينى الذى دفن أحلامه فى مخزن الآثار مع التماثيل وقوارير الفخار، واستسلم للرقابة والملل ونسى أو تناسى أنها حاربت الدنيا كلها من أجل أن تقترن به.

وقبلت حبه ورغبته في الزواج منها لأنها رأت فى عينيه بريقا

ينبئ عن شخص حالم وطموح يدمن القراءة ويكتب الشعر ويعشق التاريخ المصرى القديم، ويعرف قصة كل حجر وكل تمثال فى مصر ويحلم بأن يسجل باسمه أشهر الاكتشافات الأثرية ويتفوق على علماء المصريات والباحثين والمغامرين الغربيين الذين يستبيحون العبث بتراثنا وتاريخنا والتنقيب فى أرضنا عن كنوز أجدادنا ليصنعوا لأنفسهم مجدا شخصيا.

أو ليسرقوا أثمن وأعز وأنفس ما نملك من تراث خالد يتحدى الزمن ويصطحبونه معهم إلى بلادهم ليزينوا به ميادينهم و يضعونه فى متاحفهم.

وظل فخرى يحاول إقناع رؤساءه فى قسم الترميم بهيئة الآثار بأن يتيحوا له فرصة التنقيب عن الآثار كما يتيحوها للأجانب، وأن يوفروا له الإمكانيات اللازمة للبحث والحفر، لكنهم تعاملوا معه بمنتهى الاستهانة والاستخفاف، ونقلوه من قسم الترميم إلى المخازن، حيث اكتشف أن اللصوص الكبار سرقوا جانبا مهما من كنوزنا وباعوها للأجانب برخص التراب، وأن أحدا لا يستطيع أن يحاسب أحدا، لأنه لم يتم حتى الآن عمل حصر كامل لما هو موجود لدينا من تحف وتماثيل وآثار.

وتأكد له بالواقع والممارسة أن المهمة التى أوكلتها وزارة الثقافة لإحدى هيئاتها لعمل حصر شامل لقطع الآثار المصرية الموجودة

بالمتاحف والمخازن لم تتم ولن تتم، لأنه من مصلحة كثيرين ألا تتم.. ومن مصلحتهم أن نظل منهوبين ومستباحين وأن نقاتل لاسترجاع عشرات القطع المعروضة فى بعض متاحف أوروبا، فى الوقت الذى يتم فيه اليوم وغدا وبعد غد سرقة مئات بل وآلاف القطع الأثرية النادرة من المتاحف، وتستمر فيه عمليات التنقيب غير المشروعة عن الآثار فى مناطق ومحافظات كثيرة.

واكتشف بحكم عمله وجود مافيا أخطبوطية منظمة حققت ثروات طائلة من نهب تاريخنا وسرقة آثارنا وتهريبها إلى الخارج.

وحاول فخرى فى البداية أن يوصل صوته إلى كبار المسئولين فى الوزارة ويحذرهم من خطورة ما يحدث داخل مخازن هيئة الآثار، إلا أنهم أعطوه أذنا من طين وأخرى من عجين، ولم يكلفوا أنفسهم بالرد على أى خطاب من خطاباته، ولم يوافق أى منهم على مقابلته والاستماع إليه.

ووصل الأمر إلى حد اضطهاده ومنعه من الترقيات والعلاوات الدورية، وهو الذى لا يملك سوى مرتبه لينفق منه على زوجته سليلة الحسب والنسب وبناته الثلاث، فأخذ حماسه ينطفئ شيئا فشيئا، وتحولت غيرته على كنوز بلادنا المنهوبة ورغبته فى حمايتها من اللصوص والفاسدين إلى درجة من درجات اللامبالاة، أخذت تزيد وتتسع حتى وصلت إلى أقصى حالات الحنق على البلد ومن فيها وما

فيها..ولم يجد أمامه سوى أن يضع همه ويدفن إحباطاته في شعر العامية الذي يكتبه وينشر قصائده في بعض المجلات ويلقيها في قصور الثقافة.

وكاد في مرة من المرات أن يسجن بسبب قصيدة سماها ثلاثية الفقر والمرض والجوع قال فيها..

اقتل فقير تكسب دولار
وتعيش أمير بين التجار
تاجر ف قوت الشعب
تاجر في مصير الغلبانين
ده السرقة على عينك يا تاجر
مش بالآلاف.. بالملايين
رزق الحرامية الكبار ع المجانين
اللي ف لحظة صدقوا واتشوقوا
للعدل بين اللي بيتغدي
براتب ألف مستخدم شريف
واللي مش لاقي الرغيف
بين تريلا أو جبلا
بس ساكن جوه فيلا
وبين عفيف..

بس بينام ع الرصيف
وان نقول حرام.. يقولوا
موت جعان تموت خفيف
يا مال بلدنا
يا مال سايب ومالوش أصحاب
يا فلوس تكية
يا وكالة من غير بواب
وسيادته في الليلة الغبره
يهبر هبرة
والناس اهي ساكتة وصابرة
ومش عارف ليه
ومشيتوا جنب الحيط ياما
والحيط ملت
وشوش جعانة ودبلانة
وخايفين على ايه؟!
تلقى البعيد بطنه فاضية وجيبه فاضي
ويبوس ايديه ويقول راضي
وراضي عن ايه؟!
راضي تعيش عيان عدمان

وتعيش ذليل أيام وسنين
ويجي هوه عشان مسنود
يكسب أرانب أو ملايين

وظل فخري يفقد وزنه وصحته رويدا رويدا حتى تحول الى هيكل إنسان.

وأصبح يدخن بشراهة ويخرج من البيت في أي وقت تائها ضائعا بلا هدى ودون أن يعرف إلى أين يذهب أو ماذا يريد، وكانت زوجته الجميلة تشاهد تحول شخصيته وتغير طباعه، وركونه إلى السلبية وتخليه شيئا فشيئا عن طموحاته وأحلامه،وهي تكاد تموت من الغيظ والحسرة على هذا الانسان النبيل الذي تحول الى حطام، حتى فاض بها الكيل وهددته بطلب الطلاق وأخذ البنات ليعشن معها في بيت أباها، إن لم يخرج من هذه الحالة.

ولم تجد أمامها فكرة يمكن أن تخرجه من هذه الحالة سوى إقناعه بالحصول على دورات تدريبية فى الارشاد السياحى واللغة الانجليزية تؤهله للعمل مرشدا سياحيا، لكنه كان قد فقد كل رغبة لديه فى المقاومة وأى أمل فى النجاح، وانتظم فى إحدى هذه الدورات فقط ليرضيها ويتخلص من إلحاحها.

واستمر الرجل الرومانسي الحالم الذي تربى على القيم والمبادئ النبيلة يتحول إلى شخص آخر غير الذى أحبته وحاربت أهلها لكى

تتزوجه، حتى لم تعد تطيقه وتشعر بالغثيان كلما حاول الاقتراب منها ومضاجعتها وأصبحا يناماں فى غرفتين منفصلتين، وأصبحت متأكدة من أن وجوده فى حياتها أصبح بلا قيمة، وأنه لا يمكن أن يعود مرة أخرى إلى طبيعته بعد أن قتلوا فيه الروح والحماس والاحساس بالانتماء.

وتركت شاهيناز بيتها وذهبت لتعيش مع والدها ووالدتها اللذين تقدم بهما العمر وهدهما المرض ولم يعودا قادرين على خدمة نفسيهما بعد أن تزوج أشقاؤها الأصغر منها، ورموا بعبء رعاية والديهما كله على عاتق الخادمة العجوز التى ربتهم فى بيت العائلة.

واصطحبت بناتها معها إلى بيت العائلة، وبدأت تتولى عن والدها وأشقائها المشغولين بوظائفهم المرموقة مهمة تحصيل ايجار البيت القديم الذى خرج به والدها من الدنيا ووضع تحويشة العمر فى بنائه، فضلا عن ايجارات العمارة التى ورثتها والدتها عن والدها لاظوغلى باشا وسط البلد.

وكانت هذه المهمة البسيطة أول احتكاك لها بعالم العقارات والحسابات،وكان اليوم الذى قررت فيه أن تنفصل نهائيا عن زوجها هو نفس اليوم الذى دخلت فيه عالم البيزنس.

وتذكرت شاهيناز ألمها ومعاناتها وطمع الرجال فيها، وهى تنظر إلى ابنتها التى أصبحت عروسا يتقدم لها الخطاب ويقفون على

بابها بالطابور فى انتظار كلمة رضا أو سماح من صاحبة الصون والعفاف وسمسارة الشقق التى تحولت إلى سيدة مجتمع، وأصبح اسمها يقترن ولو فى السر باسم رجل من أبرز رجالات هذا العصر.

ولم تكن تتخيل على الإطلاق أن كل ما فعلته وقدمته من تضحيات من أجل بناتها اللاتى عاشت من أجلهن طيلة ٢٠ سنة بدون زواج ودون أن يلمس طرف شعرها جنس رجل يمكن أن تذهب سدى، أو أنها ستجد نفسها يوما ما متهمة فى شرفها وأمام من.. أمام بناتها.. كنزها الذى ندرت نفسها وعمرها له وأفنت جمالها وشبابها من أجل الحفاظ عليه، ورفضت كل من تقدم لها من عرسان لكى لا تسمح لرجل غريب بأن يقتحم حياتها أو يجرح مشاعر زهراتها الرقيقات الجميلات.

وجاء اليوم الذى تضطر فيه للدفاع عن شرفها واسمها وعرضها..جاء اليوم الذى تجد فيه نفسها متهمة في أعز ما تملك.. متهمة فى سمعتها.. ويا ليتها ما سألت..ويا ليتها ما ألحت على هناء وأمنية حتى يحكيان لها ما كانا يخفيان عنها.

ولم تصدق شاهيناز للوهلة الأولى أنها تسمع هذا الكلام من بنتيها، كما لم تصدقهما حين سألتهما عن الدموع التي لمحتها في عينيهما وقالتا لها إنها دموع الفرح باستقبال أول عريس يدخل بيتهم، ولم تستجب لتوسلات هناء بألا تسألها.. لماذا تبكين وما الذى

يجعلك هكذا شاحبة وشاردة وما الذى تخفيه أختك الصغيرة عنى، ولماذا لا تريد أن تواجهنى وتضع عينها فى عينى، لماذا تشيح بوجهها عن وجهى، لماذا تهرب من مواجهتي وتتفاداني.

وظلت تسأل وتلح في السؤال وتصر على أن تعرف.. لكنها لم تتوقع أبدا أن تقف فى يوم من الأيام هذا الموقف العصيب أمام بناتها، وأن تضطر فى النهاية للاعتراف لهن بحقيقة علاقتها بعزت بيه النعيمى، وأنها تزوجته سرا حتى تؤمن مصالحها وتحمى نفسها من حيتان كبار فى سوق العقارات أقلقهم صعودها الصاروخى، وشبكة علاقاتها المعقدة واستحواذها فى وقت قصير للغاية على مساحات كبيرة من أراضى البناء فى مناطق شديدة التميز، وتحولها من مجرد سمسارة إلى صاحبة شركة للمقاولات وعضو فى الغرفة التجارية.

وحكت لهما كيف كان لابد لها من الاختباء والاحتماء وراء واجهة فولاذية لا يستطيع أحد اختراقها، وكيف وجدت ضالتها فى كبيرهم الذي علمهم السحر..هذه العصا التي لو ألقت بها أمامهم لابتلعت كل العصي وحمتها من الأفاعي.

هذا الحوت الكبير الذى لفت نظره هو الآخر ذكاءها وجمالها وطموحها فتجاوب بسرعة وحنكة مع محاولاتها للاقتراب منه، وأبدى انبهاره الشديد بشخصيتها، وحاول فى البداية أن يقيم علاقة محرمة معها، لكنها صدته برفق حتى لا تخسره، وحين تأكد له أنه لن

يستطيع امتلاكها بدون زواج عرض عليها الاقتران بها بعقد عرفى على أن يظل الزواج سرا.

وكانت شاهيناز تحكى والدموع تسيل من عينيها لأول مرة أمام بناتها، فقد تعودن دائما على أن يروها قوية وواثقة من نفسها حتى فى أحلك اللحظات وأصعب المواقف، لكنها كانت هذه المرة ترتجف وتهتز بشدة وهى تدافع عن شرفها وكرامتها أمام بناتها.

ولم تهدأ قليلا إلا بعد أن دخلت داليا عليهن الغرفة فى نفس اللحظة ووجدت الجميع يبكين وكانت قد سمعت جزءا يسيرا من الحوار وهى تجلس وحدها فى الصالة، فاندفعت ناحية أمها وحضنتها.. وصرخت فى شقيقتيها قائلة:

- أمى أشرف أم فى الدنيا، واللى بيقول غير كده تنقطم رقبته، ومن حقها تعيش وتتجوز، واللى عندها كلام أو اعتراض تضرب رأسها فى الحيط.

ونزلت كلمات داليا على رأس هناء وأمنية كالماء البارد، وشعرت البنتان بفداحة الخطأ الذي ارتكبتاه، فليس من حقهما محاكمة الأم التي دفنت حياتها وشبابها من أجل تربيتهما، وليس من حق أحد أن يضع تلك السيدة المعتزة بنفسها في مثل هذا الموقف..وارتمت البنتان في حضن الأم،تعتذران لها وتطلبان صفحها ورضاها.

لكن شيئا في هذا البيت قد تغير للأبد ولن يعود مرة أخرى كما كان.

-٨-

فتحت هناء تليفونها المحمول والذي كانت قد أغلقته منذ مواجهتها الأخيرة مع رامز فوجدت أكثر من ٢٠ مكالمة لم يرد عليها منه، ورسالة يقول لها فيها إنه يعتذر عما قاله بحق والدتها، ويرجوها أن تلتقيه بعد ساعة واحدة فى الكافتيريا التى اعتادا اللقاء بها فى حى المهندسين.

لكن هناء لم ترد عليه أو على رسالته ولم تذهب إليه فى الموعد الذى حدده لها، وقررت أن تحصل على اجازة قصيرة من الشركة حتى تتفادى تماما اللقاء به على الأقل خلال تلك الأيام التي تشعر فيها بحالة من عدم التصديق والاتزان، واهتزت فيها كل الصور أمام عينيها بعد أن علمت بخبر زواج أمها السري من عزت النعيمي، وحتى تعطي نفسها فرصة لتفكر في الطريقة التي يمكن أن تعالج بها الموضوع مع رامز، خاصة بعد أن نجحت هي وشقيقتيها في إقناع والدتها بإعلان خبر هذا الزواج.

وقررت بينها وبين نفسها أن تقطع علاقتها بهذا الشاب البوهيمي إلى الأبد كما وعدت والدتها فى لقائهم الأخير الذى وضعوا فيه مانفيستو حياتهن الجديدة بعد افتضاح أمر زواج أمهن

السرى، وكان قرار قطع علاقتها برامز على رأس القرارات التى اتخذوها جميعا لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من سمعة الأم والبنات.

أما القرار الثانى فكان إقناع الأم بالضغط على عزت بيه ليعلن خبر زواجه منها، بغض النظر عن أى اعتبار آخر، وإلا فالطلاق هو الحل الوحيد.

واستجابت شاهيناز بالفعل لرجاء بناتها، ونجحت بعد نقاش طويل وجدل أطول مع زوجها رجل الأعمال الكبير استخدمت فيه كل أسلحة ودهاء الأنثى في أن تقنعه بأن يعلن زواجه منها حتى لا تتحول إلى امرأة سيئة السمعة وتخسر بناتها وحياتها وثقتها بنفسها، وأصبح إعلان هذا الزواج خبرا رئيسيا وقصة صحفية أساسية فى كل الصحف الأسبوعية الصفراء التى أصبحت تملأ أرصفة الجرائد فى السنوات الأخيرة، وعلى رأسها بالطبع جريدة "المستقبل".

وخصص رئيس تحرير الجريدة علاء مراد ملفا كاملا من ثمانى صفحات عن الزواج السرى للمشاهير ونشر من خلاله لأول مرة تفاصيل عقد زواج النعيمي وشاهيناز ومبلغ المهر ومؤخر الصداق، وثمن شقة الزوجية فى برج المعادى التى كتبها عزت النعيمى باسم شاهيناز، والفيلا التى اشتراها لتكون عش الغرام الثانى لهما فى الساحل الشمالى.

وبالطبع فقد حصل مراد على كل هذه التفاصيل من صديقه

وصديق شاهيناز المحامى على الجرايحى الذى كتب بنفسه عقد الزواج. وكان أحد الشاهدين عليه هو ومحامي شاب فى مكتبه، وتعمد الجرايحى أن يسرب تفاصيل عقد الزواج لصديقه المتخصص فى الفضائح وقضايا الإثارة كنوع من الضغط على عزت النعيمى لإعلان زواجه من شاهيناز بعد أن وعدها أكثر من مرة ثم تلكأ فى التنفيذ.

ولم يعد هناك في جعبة الجرايحي سوى هذا الحل الذي أقنع به صديقته رغم خطورته إذا ما أدى إلى غضب النعيمي واستشعاره بأنه مقصود لاحراجه ووضعه أمام الأمر الواقع..وقد ترك هذا التصرف الجرئ بالفعل أثرا عميقا فى نفس النعيمى وجعله يزداد حذرا من شاهيناز، وإن كان ظل يحبها ويتمسك بها كزوجة ثانية ويعلن ذلك للجميع.

أما ثالث القرارات المصيرية التى اتخذتها شاهيناز وبناتها بالإجماع فهو الموافقة على زواج هناء وسامح كرد عملى على الشائعات التى بدأت تتناول سيرة سيدة الأعمال الصاعدة بسرعة الصاروخ، ولما أبداه الضابط الشاب ووالده المحامى الكبير من شهامة وأصالة، وإصرارهما على إتمام الزواج فى أسرع وقت ممكن حتى تخرس الألسنة ويتأكد الجميع أن العلاقة بين النعيمى وشاهيناز كانت منذ البداية زواجا على سنة الله ورسوله.

ولم تجد هناء صعوبة كبيرة فى تقبل سامح أو التعامل معه، فقد

كان شابا مهذبا ووسيما وتتمناه أى بنت، كما أنه دخل حياتها فى وقت كانت فى أمس الحاجة إليه، وإن كانت لم تعرف سببا واضحا لشروده الدائم وهو معها، وإنكاره التام لأى علاقة عاطفية أو غير عاطفية له قبل أن يتقدم لخطبتها، رغم أنها أكدت له أنها تستطيع أن تفهم وتستوعب تماما وجود مثل هذه العلاقات في حياته قبل أن يعرفها.

وقالت له أكثر من مرة إن كل شاب يمكن أن يمر بمثل هذه العلاقات العابرة، والمهم أن يخلص لها تماما بعد ارتباطه بها وينسى أى علاقة أخرى مع أى فتاة قبل أن يعرفها، وفى الحقيقة فقد كانت هناء تستدرجه لكى تحكى له هى الأخرى تفاصيل علاقتها المنتهية مع رامز، حتى تخلص ضميرها تماما وتبدأ صفحة جديدة فى حياتها، رغم تحذيرات أختها الصغرى مرارا وتكرارا لها من أن تحكى شيئا لخطيبها سامح عن علاقتها برامز.

واضطرت هناء في النهاية أن تأخذ بتلك النصيحة بعد أن تأكدت أنه هو الآخر لا يريد أن يحكى لها شيئا عن ماضيه، رغم أنها كانت تشعر بإحساس الأنثى بآثار هذه العلاقة في نظرة عينيه وطريقته فى الكلام وسرحانه وشروده الدائمين وهو معها، وكأنه يقارن بينها وبين الفتاة الأخرى فى أعماق نفسه.

وكانت تشعر أحيانا وهي معه بأنه يحاول أن يستعيد الأخرى

فيها أو يستعين بوجودها على رغبته فى استبعادها والخلاص من ذكراها.

ولم يفك عقدة لسان سامح ويدفعه الى البوح سوى عندما رأى صور هناء العائلية التى تحتفظ بها فى درج مكتبها وتضم صورها وهى طفلة وصورها مع زملائها فى الجامعة وصور الرحلة التى قامت بها مع طلاب الكلية إلى باريس والصورة الوحيدة التى عثرت عليها لوالدها بالصدفة فى دولاب أمها، وطلبت منها الأم أن تمزقها أو تعطيها لها لكى تمزقها، لكنها بكت وصرخت وضربت الأرض بقدميها، وأصرت على أن تحتفظ بها ولا تطلع أحدا عليها حتى شقيقتيها طوال تلك السنوات.

وجاء خطيبها وطلب منها أن يرى غرفتها وفتحت له درج ذكرياتها وصورها الخاصة، لكنها لم تكن أبدا تتوقع أن يكون هذه هو رد فعله على رؤيته للصورة.. لم تكن تتوقع أن تسمع منه تلك الشهقة الطويلة التى شهقها حين رآها، فقد فاجأها وأحرجها كثيرا وجعلها تسأله فى ذهول..

إيه ده يا سامح.. هيه صورة بابا بشعة أوى للدرجة دى.. إيه يا عم.. هوه أنت شفت عفريت والعياذ بالله.

واضطر سامح أمام إصرارها العجيب على أن تعرف سر هذه الشهقة الغريبة ورد الفعل غير المتوقع أن يحكى لها حكايته مع سارة

وأخواتها الثلاث اللاتى كانت تبحث عنهن واسم زوجة أو طليقة أباها الذى يتطابق مع اسم أمهن..شاهيناز شوكت.. وصورة الأب التى أرسلتها له سارة بالإميل لكى تساعده فى العثور على أخواتها..واسمه الثلاثى فخرى عبد الحميد الريس.. وهو نفس اسم والد هناء.

وهذه الدنيا الصغيرة والقدر الذي شاء له أن يذهب إلى الوادى الجديد فى مهمة عمل رسمية، لكى يلتقى صدفة بسارة ويقع فى حبها، وتطلب منه أن يبحث عن أخواتها اللاتى لم تلتق بهن فى حياتها، وأوصاها والدها بأن تسافر إلى مصر للبحث عنهن، ثم يكتشف فى النهاية أن البنت الوحيدة التى أحبها من كل قلبه، ولكنها لم تبادله حبا بحب، بل وطعنته طعنة لا تزال آثارها تدمي فؤاده وتشتت عقله.

يكتشف أن هذه الفتاة هى نفسها الأخت غير الشقيقة للزوجة التى اختارها له والده ورضى هو بالاقتران بها، لعلها تنسيه الجرح الغائر فى كرامته وكبريائه.

ويبدو أن الصدمات التى راحت تنهال على رأس هناء فى الأيام الأخيرة جعلتها تفقد السيطرة تماما على نفسها أمام هذا الاكتشاف الرهيب.

وبدأت تضحك بطريقة هستيرية وتهز سامح بعنف حتى

كادت أن تسقطه على الأرض من فرط غيظها وصدمتها لولا أن هذا العملاق لا يسقط بسهولة، واختلطت دموع هناء بضحكاتها وهى تقول له.. -إيه يا كابتن الفيلم الهندى اللى انت بتحكيه ده.. ويا ترى أمى أنا اللى فقدت الذاكرة ولا أم سارة، ولا أبويا اللى ما اعرفش شكله غير من الصورة دى هو اللى فقد الذاكرة ورجعت له تانى.

وارتفع صوت ضحكتها وكأنها تجرعت شرابا مسكرا أو تناولت حبة هلوسة، وقالت لسامح متسائلة فى سخرية..

- أوعى يا خطيبى العزيز تطلع فى الآخر أخويا أنت كمان، وعلى بيه الجرايحى يطلع أبويا أو تقع من فوق السرير، وتفقد الذاكرة أنت كمان.. وتقول أنا مين.. أنا ابن مين!!.

وظلت هناء تضحك وتهلوس بالكلام، وصوتها يعلو بشدة ويصل إلى مسامع أمها التى كانت تجلس مع شقيقتها داليا فى فراندة الغرفة الأخرى الملاصقة لغرفة هناء.

وحاول سامح في البداية أن يقنعها بأن تتمالك نفسها، أوعلى الأقل تخفض من صوتها دون فائدة، حتى بدأت تهاجمه بكلمات عنيفة وجارحة.

وقالت له جملة أخرجته عن شعوره وجعلته لا يشعر بما

يفعل..قالت:

تصدق يا أخى.. إنت وشك نحس علينا.

وهنا لم يدعها سامح تكمل هلوستها وصفعها على وجهها بقوة جعلت أصابعه تنطبع على خدها وتركها وخرج.

-٩-

بدأت داليا عملها فى جريدة "المستقبل" وأصداء إعلان زواج أمها من عزت النعيمى تلاحقها فى كل مكان، والفضول الصحفى يدفع زملاءها الجدد لسؤالها عن طبيعة شركة المقاولات التى تملأ إعلاناتها الصحف ومحطات التليفزيون وتبشر الشباب المقبل على الزواج بالحصول على شقة العمر فى المشروع الإسكانى الضخم الذى بدأت به الشركة نشاطها ليكون جزءا من خططها للمساهمة فى حل أزمة الإسكان الخانقة.

وطلب كثير من المحررين الشبان بالجريدة من زميلتهم الجديدة التوسط لدى والدتها وزوجها امبراطور العقارات للحصول على شقة فى المشروع.

ولم ترتح داليا كثيرا لهذا الجو الغريب الذى أحاط بها وهى تخطو أولى خطواتها فى عالم صاحبة الجلالة، ورفضت فى البداية اقتراح علاء مراد ونصيحته لها بالالتحاق بالقسم الاقتصادى بالجريدة والتخصص فى الكتابة عن سوق العقارات حتى لا يتهمها أحد

بالاستسهال والاعتماد على ماما وجوز ماما كمصدر لما تكتبه من أخبار وتحقيقات، ورجت رئيس التحرير أن يسمح لها بالتدريب على الأقل فى البداية فى صفحة المنوعات والمجتمع والأخبار الخفيفة.

وأقنعته بضرورة الاستفادة من إجادتها للغة الإنجليزية فى ترجمة بعض الموضوعات من المجلات الأجنبية..وحققت بالفعل نجاحا كبيرا فى ترجمة بعض الموضوعات المثيرة والشيقة عن نجمات هوليوود وأخبار نجوم السينما العالمية وأحدث خطوط الموضة والأزياء فى باريس، وكلها موضوعات خفيفة من النوع الذي كان يستهوى صحفى الإثارة المعروف علاء مراد الذى أفرد لها صفحات الجريدة لنشر الصور والموضوعات التى كانت تقوم بترجمتها دون أن يشير أحيانا إلى المصدر الأجنبى المنقولة عنه.

وقام بتكليفها بتغطية أخبار نجوم المجتمع وأهل المال والأعمال، وحفلات الفنانين والإسهام من وقت لآخر بإجراء حوارات مع نجوم ونجمات السينما والتليفزيون وكتابة بعض التحقيقات الاجتماعية الخفيفة عن مشاكل الزواج والطلاق والعنوسة والتحرش الجنسى.

وكانت أمها هي الأخرى سعيدة إلى حد كبير بهذا التوجه الذى أبعد ابنتها عن الموضوعات الشائكة والتحقيقات الجادة ووجع الدماغ.

ولذلك فقد اعترضت بشدة حين طلب منها زوجها رجل

الأعمال الكبير عزت النعيمى أن تسرب لداليا وثائق ومستندات حول صفقة عقارية ضخمة تقوم بتنفيذها إحدى الشركات المنافسة لشركته.

وخشت على ابنتها من خطورة نشر المستندات التي تفضح تورط مسئولين كبار بوزارة الإسكان فى تسهيل رسو إحدى المناقصات المهمة على هذه الشركة.

وكان رأى شاهيناز هو تسليم المستندات لرئيس التحرير علاء مراد شخصيا ليقوم بصياغتها فى موضوع صحفى بقلمه البارع الرشيق، وساعتها ستقوم الدنيا ولن تقعد وستهتز الوزارة والحكومة كلها بل وقد يتم الإطاحة بالوزير نفسه، إذا نشرت تفاصيل الصفقة المشبوهة، أو على الأقل سيتم الإحاطة بالمسئولين الفاسدين فى الوزارة.

وانتصر النعيمى لوجهة نظره في النهاية وأقنعها بأن هذا السبق الصحفى الخطير سيكون البوابة الحقيقية لدخول ابنتها إلى عالم القضايا الصحفية الساخنة، وسيجعل اسمها يدوى وينتشر ويعطى علاء مراد مبررا لتعيينها بعد فترة قصيرة من تدريبها بالجريدة، متجاوزا زملاء آخرين لها سبقوها فى الالتحاق بالعمل بالصحيفة الأسبوعية وينتظرون دورهم منذ سنوات فى طابور التعيين، ولن يجد أحد منهم سببا للاعتراض على تعيينها قبلهم، لأنها فجرت قضية ساخنة

تستحق مكافأتها عليها بالتعيين.

وقال لها أيضا إنه اتفق مع رئيس التحرير بالفعل على أن يقوم بنفسه بصياغة الموضوع على حلقات يتم نشرها فى الجريدة.

وحدثها عن تفاصيل الحملة الصحفية التي سيفتح من خلالها ملف هذه الشركة التى يمت صاحبها بصلة مصاهرة لمسئول كبير جدا في وزارة الإسكان، وكيف استفاد من هذه المصاهرة في إسناد كثير من مشروعات الإسكان والتعمير والصرف الصحى إلى شركته.

وكشف لها أن هذا المسئول الكبير، والذي كان يملك مكتبا للاستشارات الهندسية، واضطر لاغلاقه بعد إسناد المنصب الكبير له هو الذى يدير هذه الشركة من الباطن، ويحصل على الملايين كعمولة عن كل صفقة ومشروع يتم اسناده لصهره لتنفيذه وأن رائحة الفساد فى الوزارة قد زكمت الأنوف.

وقال إن هذه التجاوزات غير المسبوقة في الوزارة دفعت بعض الأجهزة الرقابية للتفتيش وراء المسؤول الكبير الذى أصبح يمتلك أكثر من قصر فى الشاحل الشمالى والقاهرة الجديدة، وأضاع على الدولة مليارات الجنيهات فى بيع أراضى المدن الجديدة لأبنائه وأصحابه وأقربائه وبعض المسئولين الكبار، وأعضاء مجلس الشعب حتى يضمن سكوتهم عن ممارساته، ويحمونه من الاستجوابات الكثيرة التى بدأت تقدم ضده، والتحقيقات الصحفية المنشورة عن تلاعبه بأموال الشعب.

وأكد عزت النعيمي لشاهيناز أن نهاية هذا الرجل أصبحت وشيكة للغاية،وأن الرجل القوى الذى كان يحميه أصبح بلا أظافر أو أنياب بعد تهميشه وإقالته من منصبه الرفيع فى الحزب الحاكم، وأن هذا التحقيق الذى سيوضع عليه اسم ابنتها الصحفية الشابة سيكون مجرد مقدمة لسلسلة من التحقيقات الصحفية التى ستنشر أيضا باسم داليا لفضح الفساد فى الوزارة، وستنتهى بخروج الوزير شخصيا فى أول تعديل وزارى وهو ما سينسب الفضل فيه إلى جريدة "المستقبل" ورئيس تحريرها الشجاع علاء مراد والصحفية المعجزة داليا فخرى.

وحين حذرت شاهيناز زوجها من احتمالات ربط البعض بين نشر هذه التحقيقات باسم ابنتها وبين إعلان زواجهما المفاجئ الذى لا يزال حديث دائر النميمة فى النوادى والمجتمعات الراقية والصحف الصفراء.. طمأنها بأنه يعرف جيدا ماذا يفعل، وأنه كان ينتظر اللحظة المناسبة للانتقام من غريمة المسنود بأكبر رأس فى وزارة الإسكان، وأن الكشف عن وقائع الفساد فى هذه الصفقة وغيرها سيضرب له أكثر من عصفور بحجر واحد.

فمن ناحية سوف يزيح من طريقه أكبر حوت من حيتان سوق الإنشاءات والعقارات، وسيجعل من داليا نجمة صحفية خلال فترة قصيرة للغاية.

وفاجأ النعيمي زوجته الثانية بقرار عجيب يفكر فيه، وهو شراء صحيفة "المستقبل" من مالكها الأصلى بمبلغ ضخم مع الإبقاء على

رئيس تحريرها علاء مراد، وتعيين ابنتها داليا مديرا للتحرير، حتى يكون له صوت من خلال هذه الجريدة واسعة الانتشار وقوية التأثير فى دنيا الإعلام يدافع به عن نفسه وعن مصالحه ويخيف به أعداءه، ويهددهم بفتح الملفات السوداء لهم، إذا فكروا مجرد تفكير فى الاقتراب منه أو محاولة الحد من نفوذه المتصاعد.

وقال لها إنه يفكر أيضا فى شراء محطة فضائية عرضها صاحب حق الامتياز فيها للبيع بعد أن أصبحت تحقق له خسائر مالية كبيرة، والتعاقد مع إعلامى كبير على وشك ترك الفضائية التى يعمل بعد لإدارة هذه المحطة وإنقاذها من الافلاس والفشل بما له من خبرة طويلة وما يتمتع به من نجومية لدى الناس.

وأخذ النعيمى يشرح لزوجته التى تحولت من سمسارة شقق وعقارات إلى سيدة أعمال ونجمة مجتمع كيف أن المال وحده لا يكفى في هذه الأيام.. وأنه لكى تحمى مالك ومشاريعك ووجودك واسمك فى السوق فلابد من أن يكون هناك من يسندك داخل السلطة، ومن يدافع عنك ويروج لك فى وسائل الإعلام.. وأنه شخصيا كان يفضل دائما أن يحرك الأمور من بعيد لبعيد.

وحرص منذ دخوله عالم البيزنس على أن يظل بعيدا عن ممارسة العمل السياسى بمعناه المباشر، ولم يسع أبدا مثل غيره من رجال الأعمال للانضمام إلى الحزب الحاكم أو أى حزب آخر، ولم

يرشح نفسه أبدا لعضوية المجلس المحلى أو مجلس الشعب أو مجلس الشورى، لأنه كان ولا يزال يؤمن بأن السياسة لعبة خطرة تجعل رجال الأعمال دائما فى دائرة الضوء وتحت مرمى نيران الحاسدين والمعارضين، ويكفيه عضويته فى غرفة التجارة المصرية الأمريكية وبعض المنظمات الأهلية.

وقال لها إنه حريص أيضا على توسيع أنشطته الخيرية وعلى صورته كرجل بر وتقوى وملاذ للمعوزين والمحتاجين،وأنه كان أول رجل عقارات يستجيب لدعوة بناء مساكن للشباب ومحدودى الدخل، واعترف لها بأنه يستفيد من ذلك أضعاف أضعاف ما يدفعه، لأنه يحصل على الأرض تقريبا مجانا، والمرافق والبنية الأساسية للمشروع تتولاها الحكومة، وهو ينشر الإعلانات عن مشروعه فى الصحف وصورته إلى جانب صور كبار المسئولين في الدولة. ولكنه يحتاج أيضا إلى من يساعده على تثبيت تلك الصورة فى أذهان الكبار وفى عيون الناس وليس هناك أفضل من الصحافة وقنوات التليفزيون لتحقيق هذا الهدف.

-١٠-

رغم أن أمنية كانت الشقيقة الصغرى إلا أنها لم تكن دلوعة البيت، ولم يكن أحد يعاملها على أنها آخر العنقود أو الطفلة المدللة، وبالعكس تماما من ذلك فقد كانت حساسيتها الشديدة وإحساسها

المرهف بكل ما يدور حولها، وذكاءها الفطرى تدفع كل من يعرفها لأن يثق فيها، ويحترم آراءها ويحرص على الحوار معها وأخذ مشورتها فى كل صغيرة وكبيرة، وكانت والدتها دائما ما تقول عنها..أمنية أعقل بناتى.. أمنية حبيبة قلبى وزهرة بنات العائلة. لذلك فقد كانت مفاجأة زواج أمها السرى من عزت بيه النعيمى واضطرارها لإعلان الزواج تحت ضغط الخوف من الفضيحة، وإلحاح بناتها عليها.. كان لهذه المفاجأة الصادمة بالنسبة لها أثر كبير فى إصابتها بحالة غريبة من الارتباك والارتياب في كل شخص وكل شئ.

وبدأت حالتها النفسية تتدهور بشدة وأصبحت فى غضون شهور قليلة مثل الوردة الذابلة، ولم تعد تضحك أوتبتسم فى وجه الجميع كما كان يحدث من قبل، ولم تعد تتحدث كثيرا مع أمها أو شقيقتيها، أو تعطى اهتماما لأحوالهن النفسية والعاطفية.

ولم تعد تسأل هناء عن آخر أخبارها مع حبيبها المجنون رامز الذى كان سببا فى كل ما جرى، بعد أن واجه أختها بما سمعه عن علاقة والدتها بعزت بيه النعيمي، ولم تعلق تقريبا حين عرفت أن هناء قبلت بالعريس الضابط العملاق فى صفقة لصالح توطيد العلاقة بين شاهيناز هانم ووالد العريس المحامى على الجرايحى. ولم تعد حتى تسأل نفسها عن مصادر التحقيقات الصحفية المثيرة والقضايا الساخنة التى تفجرها داليا على صفحات جريدة "المستقبل"، وكل ما كانت تفكر

فيه ويهمها خلال تلك الفترة على الأقل هو أن تعثر على منتج فنان تجد لديه الجرأة والرغبة لوجه الفن فقط وليس لأي سبب آخر، ويمنحها فرصة لإخراج أول أفلامها الروائية، بعد أن أثبتت موهبتها من خلال الفيلم القصير الذي أخرجته ليكون مشروع تخرجها من معهد السينما، وانبهر به كل من شاهده من سينمائيين وجمهور ونقاد.

فقد كانت أمنية معجونة بالموهبة منذ صغرها، وكان كل هدفها في الحياة هو الالتحاق بمعهد السينما، وكانت تعرف منذ البداية أن المعهد لا يعول كثيرا على المجموع الحاصل عليه الطالب الذي يتقدم للالتحاق به في الثانوية العامة، بقدر اعتماده على القدرات الفنية والمعلومات العامة التي يتمتع بها، بالإضافة بالطبع إلى الواسطة.

وهى لم تكن تنقصها الموهبة أو الثقافة السينمائية، فقد كانت مدمنة سينما، وتحرص على أن تشاهد كل ما تستطيع أن تشاهده من أفلام عربية وأجنبية، وكانت تعشق على وجه الخصوص الأفلام العربية القديمة وتكاد تحفظها مشهدا مشهدا وكادرا كادرا، وكانت تتابع بشغف أخبار السينما العالمية ولا تفعل شيئا طوال فترة الأيام العشرة التى يقام فيها مهرجان القاهرة السينمائى سوى أن تعسكر فى قاعات مبنى الأوبرا، ودور السينما التى يعرض بها أفلام المهرجان، وتظل تنتقل من سينما إلى أخرى، لتشاهد أفلاما من جميع المدارس

السينمائية بالعالم.

ولم تكن تقتصر فى ثقافتها على السينما الأمريكية، أو مشاهير نجوم ونجمات هوليوود لكنها كانت تتابع أيضا السينما الإيطالية وخاصة أفلام العبقرى فيلليني، وأفلام معجزة اليابان كورساوا، وكذلك أفلام أوروبا الشرقية، وحتى الأفلام الهندية باتجاهاتها المختلفة، من السينما التجارية فى بومباى، وحتى أفلام الموجة الجديدة فى الهند التى تشارك فى المهرجانات وتحصد الجوائز.

وكانت أمنية تحرص كذلك على أن تحضر معظم الندوات التى تقام على هامش الأفلام، وتشارك فيها سواء بالتعليق أو السؤال، وكان صغر سنها وجرأتها ولباقتها فى الحوار تدهش كل من يراها، وكان المسئولين عن المهرجان يعرفونها جيدا ويحترمونها جدا.

بل وكانوا يوجهون لها دعوات خاصة لحضور حفلى افتتاح وختام مهرجان السينما مثلها مثل نجوم ونجمات الفن وكبار الصحفيين والمحررين الفنيين الذين يدعونهم لحفلات الافتتاح والختام.

وتعرفت أمنية بالفعل على بعض المخرجين الشبان وعدد من كتاب السيناريو والممثلين والممثلات الجدد، وأقنعوها فى مرة من المرات بأن تمثل دورا صغيرا مع مجموعة منهم فى فيلم قصير، اشتركوا به فى القسم الخاص بالأفلام الروائية القصيرة فى مهرجان الإسماعيلية للأفلام التسجيلية والروائية، وحصل الفيلم على جائزة. ومثلت فيه

أمنية دور فتاة صغيرة محجبة تعمل فى محل للملابس الجاهزة بوسط البلد، وتعانى من تحرش صاحب العمل جنسيا بها، لكنها تقول إنها مضطرة للاستمرار فى العمل حتى تساعد أمها الأرملة فى الإنفاق على أخواتها بعد أن مات أبوها السائق فى حادث ولم يعد هناك مصدر دخل لهم.

وكان التقدير الذى حصل عليه الفيلم من النقاد والمتخصصين وإشادتهم بأداء أمنية رغم صغر مساحة دورها حافزا آخر لها على مواصلة هذا المشوار، لكنها لم تكن تحلم بأن تصبح ممثلة مشهورة، أو نجمة سينمائية تنشر صورها على أغلفة المجلات وتحصد الملايين وتحظى بالمجد والأضواء.

حلمها كان من البداية أن تصبح مخرجة فهى تؤمن بأن المخرج هو صاحب العمل الفنى الأصلى، وأن بقية العناصر كلها أدوات وعرائس ماريونيت يحركها المخرج كما يريد، ولذلك فالمخرجون الكبار فى العالم كله يكتبون على أفيشات أفلامهم عبارة فيلم للمخرج فلان.

وكانت أمنية معجبة جدا بتجارب الجيل الجديد من المخرجات، وخاصة هالة خليل وساندرا نشأت وكاملة أبو ذكرى وترى أن هذا الثلاثى الرائع هو الذى سيحفظ للمرأة المصرية مكانتها التى تستحقها فى السينما، وأنهن الامتداد الطبيعى لجيل الرائدات

عزيزة أمير وبهيجة حافظ وآسيا داغر، ومارى كوينى وفاطمة رشدى. ولذلك لم تحزن كثيرا حين أعلنت نتيجة الثانوية العامة، وعرفت أنها حصلت على مجموع ضعيف وهو ٦٥% فقط، رغم أنها كانت طوال عمرها من المتفوقات فى الدراسة، ولم تكن تذاكر كثيرا، أو تحب الحفظ أو الصم، لكنها كانت تعوض ذلك بذكائها وقوة ذاكرتها وقدرتها غير العادية على الفهم والاستيعاب والتحصيل.

واحتفظت أمنية طوال فترة دراستها بمعهد السينما بالمركز الأول على الدفعة، وكانت تشارك أحيانا كمساعد مخرج، واحيانا أخرى كممثلة في مشاريع تخرج زملائها وزميلاتها من الدفعات السابقة لها.

ولم تستجب لمحاولات بعض المنتجين، ومعظم زملائها الذي عرفوا طريق الاحتراف ويشاركون في أعمال فنية كثيرة أثناء دراستهم بالمعهد لاقناعها بالتخلي عن حلمها بالاخراج، والاتجاه للتمثيل والاستفادة من جمال ملامحها المصرية الصميمة، العينين الواسعتين العسليتين ولون البشرة القمحي والشعر الأسود الناعم الذي ينسدل على كتفيها، في الحالات التي لا تقصه فيها كما تحب أحيانا قصة الكاريه الفرنسية ذات الأصل الفرعوني، فضلا عن موهبتها وتلقائيتها في التجسيد والتعبير.

وكانت تعرف أن هذا الطريق هو الأسرع للشهرة والمال والنجومية، لكنها ظلت متمسكة بحلمها القديم..إنها تريد أن تكون

مخرجة ولن يبعدها شئ مهما كان عن تحقيق هذا الحلم.

ولكن شرخا كبيرا حدث في حياتها وجعلها تفقد كثيرا من اقبالها على الحياة ولا تشعر بطعم أو قيمة لأي شئ منذ إعلان زواج أمها من عزت بيه النعيمى،وتعودها على أن تبيت معه في الفيلا التي اشتراها لها هدية الزواج.

صحيح أن هذا الغياب لم يكن يدوم سوى أيام قليلة، إلا إذا اضطرت الأم للسفر مع زوجها الجديد في رحلة عمل الى أوروبا أو أمريكا أو بلد خليجي، بعد أن توسعت مشاريعها وأعمالها، وأصبح لشركتها فروع في أكثر من عاصمة عربية وأوروبية.

وصحيح أن شاهيناز نفسها لم تكن تطيق البعد عن بناتها، وأنها أصبحت حريصة بعد اعلان خبر زواجها أكثر بكثير مما كانت من قبل على أن تقضي معها ومع شقيقتيها أوقاتا أطول من الأوقات التى كانت تقضيها معهن قبل إعلان الزواج، حتى لا تشعر بينها وبين نفسها بالتقصير في حقوقهن، وحتى لا تشعر إحدى بناتها بأنها فضلت الزواج والبيزنس عليهن.

إلا أن أمنية أحست أنها فقدت فجأة هدوءها النفسى وثقتها فى الناس والحياة، وشعرت لأول مرة بإحساس حقيقى باليتم، وتمنت لو كان والدها موجودا حتى ترتمى فى حضنه، وبكت بحرقة وظلت يومين كاملين فى غرفتها لا تغادرها حين أسرت لها هناء بما حكاه لها

خطيبها الضابط عن أختهم غير الشقيقة سارة التى طلبت منه أن يساعدها فى العثور عليهن، وأرسلت له صورة أبيهم وكيف صدم خطيبها حين رأى صورة الوالد فى غرفة هناء.

وكانت صدمتها صدمتين، الصدمة الأولى حين علمت أن لها أختا لا تعرفها لا تعرف شيئا عنها، والصدمة الثانية حين عرفت أن أبوها الذى لا تتذكر حتى ملامح وجهه قد فارق الحياة دون أن تراه، ودون أن ترمى بنفسها فى أحضانه، وتشكو له من أمها التى ظلت لسنوات طويلة تتشدق بأنها ضحت بحياتها واستقرارها وجمالها وشبابها من أجل تربية البنات ثم اكتشفت أنها كانت متزوجة سرا.

ولم تجد أمنية غير السينما لترمي همومها عليها وتتوحد مع شخصياتها وتبكي وتضحك وحدها في غرفتها وهي تشاهد بالساعات أفلامها المفضلة، وقررت أن تجرب حظها في كتابة السيناريو ليكون أول فيلم تخرجه من تأليفها أيضا، وسيطرت عليها شخصية أختها غير الشقيقة سارة نصف المصرية ونصف الأجنبية، العائدة للبحث عن جذورها وأحلامها وشقيقاتها اللاتي لا تعرفهن، مع تغيير وقائع قصتها لتتناسب مع الفكرة الرئيسية للسيناريو وهي الحنين إلى الوطن، حتى ولو لم تكن قد ولدت فيه أو تحمل له ذكريات بالصوت والصورة في ذاكرتها.

وأوحى لها بالفكرة جملة لا تذكر ممن سمعتها وأين قرأتها ويقول

صاحبها أن الوطن هو الذي يعيش فينا ولسنا نحن الذين نعيش فيه.

ورغم أن فكرة الاخراج كانت تلح عليها بشدة إلا أنها لم تفكر على الاطلاق في أن تطلب مساعدة من أمها التي أصبحت سيدة أعمال ثرية جدا، وتستطيع بكل سهولة أن تساعدها بالمال والعلاقات لتقديم فيلمها الأول ككاتبة ومخرجة، كما لم تطلب مساعدة من أختها التي أصبحت إعلامية مشهورة ولها شبكة علاقات واسعة بالمشاهير ومن بينهم أصحاب شركات الانتاج ونجوم الفن.

وكانت تؤمن فقط بموهبتها وبالمناخ الجديد الذي أصبح يتيح للشباب والمواهب الجديدة فرص جيدة للكشف عن مواهبهم، بعد أن ظل السوق السينمائي محصورا لسنوات طويلة في عدد محدود جدا من الأسماء سواء في الاخراج أو الكتابة أو التمثيل، أو حتى المهن المساعدة والعناصر الفنية الأخرى.

وزاد أملها في تحقيق حلمها بعد أن وجدت زملاء لها في معهد السينما يقدمون تجاربهم الأولى في الاخراج وكتابة السيناريو، وإن كانت أصبحت قلقة بعض الشئ من عدم استمرار هؤلاء رغم نجاح أعمالهم، لكنها لم تعد تفكر في شئ سوى في فيلمها الأول.

-١١-

يبدو أن الصفعة التى تلقتها هناء على وجهها لأول مرة فى حياتها من الضابط العملاق الوسيم الذى تقدم لخطبتها كانت بداية التحول فى شخصيتها، وفى نظرتها للحياة والناس، لقد عاشت طوال حياتها كالملكة المتوجة ولكن بدون عرش أو سلطان، وتعودت على سماع عبارات الغزل العفيف والصريح، منذ أن بدأ جسمها مبكرا فى التكور والاستدارة ومنذ أحست بالعيون من حولها تلتهما وتكاد تعريها من ملابسها.

فهى الحصان الجامح، صاحبة العيون السوداء الداكنة، والأنف الإغريقى الشامخ، والنهدين النافرين، والوسط الخيزرانى النحيف والجسد الممشوق اللدن، وهى بمقاييس علم التشريح الذى تدرسه فى كلية الفنون الجميلة البرهان الواضح على الجمال المثالى والأنوثة المتفجرة، وهى التى تمتلك فى نفس الوقت الابتسامة الساحرة والشخصية الجذابة، والحضور الطاغي، وهى التى كان شباب النادى يقضون الأيام والليالى يخططون للفوز بمجرد إيماءة أو ابتسامة رضا منها.

ولم يكن يخطر ببال أحدهم أن يفوز منها فى يوم من الأيام بموعد أو لقاء، وكانوا يصطفون كالمجانين أمام حمام السباحة ليراقبوها وهى تمارس رياضتها المفضلة.

وتكاد عيونهم تخرج من مآقيهم فى انتظار خروجها من الماء

ليروا روعة الخالق الذى أبدع هذه الحسناء، أما زملاءها فى الكلية فكانوا يحاولون أن يتقربوا منها بكل الوسائل، ويتمنون اللحظة التى يتبادلون معها فيها كلمة أو جملة مجاملة عابرة ولا يتبرمون أو يندهشون حين تحصل على أعلى الدرجات فى امتحانات الشفوى والنظرى والعملى، فالأساتذة والمعيدون مثلهم مثلنا من لحم ودم. وأحمق من يحاول أن يتقمص شخصية الحكم العادل الموضوعى، ويقيم مشروعاتها أو موهبتها أو مستواها الدراسى بالمقاييس العادية.. فالجمال له أحكام.

ولذلك فقد كانت صدمتهم جميعا كبيرة حين وقعت فى غرام هذا الشاب البوهيمى المجنون رامز، وأصبحت تقضى بصحبته معظم أوقاتها بالكلية، وتبدو وكأنها ذابت بكل كيانها فى شخصه الغريب الأطوار، أو كأن الضد غالبا ما ينجذب إلى الضد، و هى تمثل الأنوثة الكاملة والجمال الآسر والشخصية المتفجرة بالنشاط وحب الحياة،وهو يمثل الفوضوية بكل أشكالها ومعانيها، هى أنيقة ورقيقة وراقية، وهو عفوى وصاخب ومتمرد على كل شىء.

وقد فسرت إحدى صديقاتها هذا الميل الغريب من هناء نحو رامز بأنه حب البنت "الكلاس" للشاب "الهيبز" أو للديرتى لوك.

للشعر الأشعث والذقن غير المحلوقة، والبنطلون الجينز الساقط عند الوسط والمقطوع عند الركبة والتى شيرت المقلوب، والقميص

المكرمش والحذاء الشمواه الأسبانى الأجرب.

لكن كل هذا انتهى مع صفعة "سامح" التى قلبت كيانها وجعلتها تفهم لأول مرة معنى الجملة التى كانت تقولها وتكررها لها أمها باستمرار..

إنتى عايزة راجل يشكمك.. راجل بجد مش زى العيال اللى بيجروا وراكى فى النادى والشارع والكلية.

وقد تجسد هذا الرجل فى شخصية سامح، لقد أهانها وصفعها وتركها وصفق الباب وراءه، ثم اختفى ولم يكلف نفسه حتى عبء السؤال عليها أو الاعتذار لها، وهى التى وجدت نفسها تتصل به بفعل الغيظ والكرامة المجروحة لتلقنه درسا لا ينساه فى معاملة بنات العائلات، لكنها فوجئت بنفسها تتهته وتتلعثم ولا تجد ما تقوله له بل وتوافق على الفور على لقائه فى كافيتريا مكتبة الديوان بالزمالك، ملتقى المثقفين ومحبى الفنون وهواة المسرح والسينما والفن التشكيلي..

هو الذى حدد الموعد واختار المكان وهو الذى بدأ بالكلام.

-أنا مش عارف عملت كده إزاى.. لكن إنتى ماكنتيش حاسة بنفسك.. كنت زى السكرانة..

وسكت سامح قليلا ليعرف رد فعلها على كلامه وحين وجدها صامتة أكمل قائلا:

قلتى كلام كتير جارح ماقدرتش استحمله.. وأنا كمان كنت فى حالة عدم اتزان.. حكايتى مع سارة هزتنى بجد.. ومش عارف ليه حكيت..وحكيت لك انتى بالذات عنها، الكلام كان محبوس جوايا.. ولما شفت صورة والدك.. لقيت نفسى باتكلم.. وحسيت براحة غريبة لما طلعت كل اللى جوايا.. لكن رد فعلك والسخرية اللى فى كلامك.. خلتنى أفقد أعصابى.. أنا عارف انها صدمة كبيرة بالنسبة لك.. يعنى تكتشفى فجأة أن لك أخت ماتعرفيش عنها حاجة.. لكن أنا.. أنا..

ويبدو أن نبرة الصدق والإحساس بالذنب وحرقة ذكرى التجربة العاطفية الفاشلة التى عاشها سامح بكل كيانه أزالت من نفس هناء أى رغبة فى الانتقام لكبريائها أو التعبير عن غضبها المكبوت، فوضعت راحة يدها تربت بها على يده، وشعرت برغبة مجنونة فى احتضان هذا العملاق الذى كادت عيناه تطفران بالدموع،وهو يتحدث عن شبح أختها التى ظهرت فجأة فى حياتهما ووجدت نفسها تقول بدون تفكير:

-إنت صحيح غلطت غلطة فظيعة، وعملت حاجة بشعة عمر ما حد عملها قبلك، ولا حتى أمى.. لكن أنا حاسة بيك.. ومقدرة شعورك.

وبدا على ملامح سامح إحساس عميق بالراحة وكاد أن يتكلم

لكنها استرسلت وقالت..

- وكفاية يا سيدى إن عملتك السودة رجعتنى ارسم تانى.. ارسم حاجة خاصة بيا مش عشان الكلية أو مشروع التخرج.. رسمت لوحة.. عارف رسمت مين.. رسمت صورة لسارة.. صورة من خيالى.. لوحة فيها كل مشاعرى.. المفاجأة والحنين والرهبة والافتقاد ومعانى كثيرة جدا.. وكنت وأنا بارسمها حاسة أن اللوحة هى التى بترسمنى وان الفرشاة هى اللى بتحركنى..وبالمناسبة أنت ليك فى الفن التشكيلى يا كابتن؟.

وبقدر ما فوجئ سامح بهذا السؤال الذي لم يكن يتوقع أن يؤدي الحوار اليه، بقدر ما كانت مفاجأة هناء أكبر بكثير، فقد فوجئت بشخص آخر مختلف تماما عن صورة الضابط الذى انطبعت فى ذهنها من أفلام السينما ومسلسلات التليفزيون وكلام الجرائد.. صورة الضابط الذي يطارد المجرمين ويعذب المتهمين فى الأقسام، ويستعرض قوته وجبروته فى الشارع، ولا يعرف شيئا فى الحياة سوى الأمر والشخط والنطر والطبنجة والكلابشات.. فوجئت بإنسان حالم وحساس وقارئ نهم ومتذوق أصيل لكل أنواع الفنون.

وانبهرت به وهو يحدثها بتدفق مدهش عن معارض الفن التشكيلى التى حضرها وعن تمثال نهضة مصر، وعن مختار وتماثيله ومتحفه.

وعن محمود سعيد ولوحة بنات بحري، وعمر النجدى وفن الموزاييك أو الفسيفساء الذي يعشقه سامح،ومحمد صبري وأسلوب الرسم بالباستيل، وعن التعبيرية والتكعيبية والسريالية وغيرها من مدارس الفن الحديث، وظلت واجمة وتستمع له فى ذهول وهو يحدثها عن عشقه للفنان العالمى بيكاسو وكيف أنه زار متحفه فى باريس أكثر من مرة، حين كان يسافر إلى فرنسا أحيانا فى مهام رسمية كجزء من عمله فى شرطة السياحة.

وسرحت قليلا وقد تصورت للحظات أنها تستمع إلى أستاذ من أساتذتها فى الكلية أو ناقد محترف، خاصة حين حدثها عن فهمه الخاص والمختلف للوحات بيكاسو، وظل يستطرد طويلا وهو يتكلم بفهم عميق وبسيط عن هذا الفنان العبقرى ويلخص وجهة نظره فى فنه ويقول..

-أعمال بيكاسو تفاوتت بين الأزرق والوردى وبين التكعيبية والكلاسيكية، وبين لوحة "جرنيكا" والنقوش الزخرفية فى لوحة "نشوة الحياة"،و بين العالم المفروض علينا والعالم الذى يبنيه، وبين الجذب والطرد.

وقاطعته هناء مندهشة..

-اش..اش..اش..ايه يا عم التحليل ده كله.

ولمحت في عينيه نظرة عتاب وكأنه يظن أنها تستخف بكلامه، فاعتذرت له قائلة..

-ايه ده يا فنان..انت زعلت..أرجوك تكمل..أنا مستمتعة جدا بكلامك وتحليلك وأنا كمان باعشق بيكاسو لكن عمري ما نظرت لفنه بالعمق ده..اتفضل قول يا سيدي قول..

وأغمض سامح عينيه وكأنه يستجمع لوحات بيكاسو وقال..

- أنا شايف إن لوحات بيكاسو فى مجموعها سيرة ذاتية للقرن العشرين وشاهد على العصر، لأن بيكاسو ماقدمش لنا صورة منقولة أو مثالية لعصره، وكمان ما شوههوش زى ما عمل فنانين تانيين، وتصويره للخياليات امتداد طبيعى لتصويره للواقع ولما هو معتاد فى حياتنا اليومية.. وهو تصوير لا يترك الإنسان على حاله.. بل يضيف إليه الجديد.

ودارت الدنيا من حول هناء.. ولم تجد شيئا تقوله أو تعبر به عن انبهارها بشخصية سامح وثقافته وقدرته على فهم واستيعاب فن كان ولا يزال هو فن الصفوة وهواية الخاصة، واندهشت أكثر لأنه لا يهتم بالفن التشكيلى لأنه يهوى الرسم أو يحاول أن يرسم، ولكن لأنه مثقف عام يهتم بالفنون كلها.

المسرح والسينما والفن التشكيلى ويحب الموسيقى الكلاسيكية ويحضر حفلات كثيرة فى الأوبرا، ولا يترك فرقة موسيقية جديدة أو

قديمة إلا ويتابعها كلما سنحت الفرصة لذلك، وهو تكوين يصلح لشاعر أو فنان أكثر مما يتناسب مع تركيبة ضابط شرطة، لكن القدر كان يخبئ لها فرصة التعرف بهذا الشاب المختلف ليقلب لها موازين حياتها، ويغير لها نظرتها عن الناس والأشياء.. وينسيها كل تجاربتها التافهة، وخاصة تجربتها مع رامز.

وحين طلب منها سامح أن ترد بسرعة بالموافقة أو الرفض على طلبه الزواج منها، قبل أن يسافر فى مهمة عمل جديدة إلى شرم الشيخ يتوقع أن تستغرق شهرا على الأقل لن يتمكن خلاله من القدوم إلى القاهرة..ردت عليه وهى تكاد تطير من الفرحة..

– طبعا موافقة بالثلث.. ده أنت يا عم بتفهم فى الفن أحسن من أى ناقد أو أستاذ عندنا فى الكلية.. وطبعا مش ده بس السبب..فيه سبب تانى.. إديك زى المرزبة.. بس أوعى تفكر تعمل العملة دى تانى.. أنا بالعب بلاى ستشين.. وممكن أزعلك جامد.

ولم تكذب شاهيناز خبرا حين أخبرتها هناء بموافقتها على الزواج من ابن الجرايحى وحددت مع والده ميعاد الخطوبة والشبكة، وحجزا لإقامة الفرح قاعة فخمة بأحد فنادق الخمس نجوم، على أن يتم زفافهما خلال عام على الأكثر.

-١٢-

نشرت جريدة "المستقبل" سلسلة من التحقيقات حول الفساد

فى وزارة الإسكان صاغها بقلمه الرشيق رئيس التحرير علاء مراد ونسبها إلى الصحفية الشابة المعجزة داليا فخرى، وكلها من واقع الأوراق والمستندات التى سربها إليه عزت النعيمي للانتقام من خصومه فى الوزارة والقضاء على أكبر الشركات الاستشارية المنافسة له بالضربة القاضية.

وأحدثت هذه التحقيقات دويا كبيرا فى جميع الأوساط، وخاصة فى عالم المال والأعمال وسوق العقارات، لكن التحقيق القنبلة الذى نشر بقلم داليا تحت عنوان "مسؤول الإسكان الكبير يمنح شركة محظوظة أعمالا حكومية بسبعة مليارات جنيه"، فتح أبواب جهنم على المسئول الكبير وصهره صاحب الشركة المنافسة لشركات النعيمي.

والتقط أحد نواب مجلس الشعب عن المعارضة وقائع التحقيق المنشور، ولوح به تحت قبة المجلس، مطالبا بالتحقيق فى أكبر وقائع فساد شهدها قطاع البناء والتشييد فى مصر خلال العقود الأخيرة.

وقرأ العضو المعارض فقرات من التحقيق جاء فيها: "إذا كان الناس الغلابة فى مصر المحروسة يؤمنون بأن الصمت هو الوسيلة الوحيدة للبقاء، وعدم دخول سراى المجانين، بعد أن طفح الكيل.. فلماذا يسكت الذين لا يملكون إلا ألسنتهم.. سبعة مليارات جنيه مرة واحدة حصلت عليها إحدى الشركات المحظوظة من وزارة

الإسكان والتعمير.. ومركز استشارات هندسية مغمور استطاع خلال سنوات قليلة أن يحصل على مشروعات حكومية وثيقة الصلة بوزارة الإسكان فى طول البلاد وعرضها".

وقرأ البرلماني العتيد ضمن استجوابه القنبلة فقرات أخرى من التحقيق تكشف حقائق مذهلة،ومن بينها: "هذا المركز المعجزة يعمل كمكتب استشارى لهيئة المجتمعات العمرانية الجديدة وثيقة الصلة بوزارة الاسكان، والمسئولة عن طرح كل مشروعات الإسكان، فى نفس الوقت الذى يعمل فيه كمكتب استشارى للهيئة القومية لمياه الشرب والصرف الصحى، وعلاقتها بالوزارة وثيقة أيضا، ومرفق مياه القاهرة الكبرى، وجهاز تنمية القرية المصرية، ومحافظة جنوب سيناء وإحدى عشرة شركة من شركات قطاع الأعمال العام.

واستدرك قائلا: وقد يقول أحدهم إن بعض هذه الشركات تمت خصخصتها.

والإجابة أنها وقت التعامل مع هذا المركز الاستشارى كانت شركات قطاع أعمال.. هذا بالإضافة إلى نحو ٢٤ شركة من القطاع الخاص، إلا أن هذه الشركات لا تمثل أعمالها إلا الجزء الأقل من أعمال الشركة المحظوظة عند مقارنتها بالأعمال الحكومية التى حصلت عليها من الوزارة وتوابعها، وخذ عندك عينة من هذه الأعمال".

وظل عضو مجلس الشعب المعارض يذكر لمدة تزيد عن ربع

ساعة لزملائه فى المجلس الموقر قائمة بالمشروعات التى يتضمنها كتاب سابقة الأعمال الفاخر للمركز الاستشارى المحظوظ.

واتهم المسئول الكبير بأنه قام بتخصيص ١٨٠٠ فدان لأحد رجال الأعمال بتيسيرات فى السداد وبسعر ٥٠ جنيها للمتر، دفع منها خمسة جنيهات للمتر، بقيمة إجمالية تقدر بنحو ٣٨ مليون جنيه، ثم باع رجل الأعمال الأرض بسعر ٢٢٥٠ جنيها للمتر، ليصل إجمالى قيمتها إلى مليارى جنيه، بالإضافة إلى اسناد الإشراف على مدينة سكنية خمس نجوم لنفس المكتب الاستشارى المعجزة.

وأصبحت فضيحة وزارة الإسكان التى فجرتها الصحفية الشابة داليا فخرى من خلال جريدة "المستقبل" الخاصة هى حديث المدينة، واستفزت أقلاما كثيرة للكتابة عنها، سواء فى الصحف القومية أو المعارضة.

وخصص كاتب صحفي شهير مقاله الأسبوع للحديث عن تلك الفضيحة المدوية، تحت عنوان "الذين خطفوا السفينة"..متسائلا: "ما الذى يستطيع أن يفعله المواطن العادى فى مصر إذا وقع فى مشكلة وشاءت الأقدار أن يكون طرفها الآخر مسؤولا كبيرا، مشيرا إلى تحقيق آخر نشرته داليا ضمن حملتها الصحفية ضد المسؤول وأعوانه حول اتهام إحدى سيدات المجتمع الراقى له ولزوجته باغتصاب أرضها فى إحدى قرى الساحل الشمالى

والاستغاثة التى نشرتها فى الصفحة الأولى بإحدى صحف المعارضة ووجتها إلى رئيس الجمهورية لإعادة حقها المغتصب.

وقال الكاتب الكبير فى مقاله: "استوقفتنى استغاثة السيدة التى لا أعرفها.. والتى جاءت متضمنة اتهامات وإشارات خطيرة من اغتصاب للأرض إلى استغلال للنفوذ، إلى الشهادة الزور، إلى تواطؤ الأجهزة المعنية، إلى الازدراء بالنيابة الإدارية وتقاعس الرقابة الإدارية، إلى تورط المحافظ نفسه، الأمر الذى إذا صح فإنه يضعنا إزاء حالة اجتمعت فيها بصمات لعديد من صور الفساد فى مصر، وهو فساد من نوع خاص كان كبار المسئولين على رأس الضالعين فيه بصورة مباشرة، وغير مباشرة حتى يبدو وكأن السلطة كلها اجتمعت لتأييد الاغتصاب وتمريره.

وهكذا تحولت الصحفية الشابة إلى نجمة صعدت بسرعة الصاروخ فى عالم الشهرة والمكانة المميزة، فى بلاط صاحبة الجلالة رغم أنها لم تبذل جهدا فى الحصول على الوثائق والمستندات الأخيرة التى سربها لها ولرئيس تحريرها زوج أمها امبراطور العقارات صاحب المليارات، ولم تخط حرفا واحدا مما كتب باسمها بقلمها الخاص.

وإنما صاغ الحملة الصحفية كلها كاتب الفضائح والإثارة المعروف علاء مراد، ولذلك فلم تكن تشعر بفرحة حقيقية، بل كانت تحس طوال الوقت بأنها بشكل أو بآخر صورة من صور أو

ضلع من أضلاع الفساد الذى يقال إنها تحاربه بفضحه وكشف رموزه للقراء.

وتمنت داليا لو يسمح لها رئيس التحرير بالعودة مرة أخرى للكتابة فى صفحات الفن والمجتمع، لكن ذلك أيضا أصبح مطلبا بعيد المنال بعد أن تم تصنيفها فى الوسط الصحفى على أنها صحفية مشاغبة ومقاتلة، وليس من المعقول أن تعود للكتابة عن نجمات الفن وجميلات المجتمع وأخبار النميمة وهى التى تسببت بحملتها الصحفية الجريئة فى العصف برؤوس كبيرة فى وزارة الإسكان وفى الإطاحة ببقية الحيتان فى الوزارة.. بل وفى تحويل صاحب إحدى أكبر شركات الاستشارات الهندسية وعددا من موظفيه إلى التحقيق بتهمة الفساد وإهدار المال العام.

ولم يكن أمامها سوى أن تصدق الكذبة التى تعرف جيدا من صنعها ولحساب من، وتتقمص شخصية الصحفية المعارضة المهتمة بالملفات الساخنة والجريئة فى تبنى القضايا الشائكة، والأغرب أنها تلقت أكثر من عرض من دورنشر كبرى لتحويل تحقيقاتها الصحفية إلى كتب مضمونة التوزيع، بل ووصل الأمر إلى أن اتصل بها كاتب سيناريو معروف لاستئذانها فى الاعتماد على تحقيقاتها المنشورة عن فضيحة الرشاوى والفساد فى وزارة الإسكان لتحويلها إلى فليم سينمائى.

وأصبحت داليا ضيفة دائمة على برامج التوك شو فى القنوات الفضائية المصرية والعربية، وعضوا فى إحدى الجمعيات المدافعة عن حقوق الإنسان، ووجها مألوفا فى الندوات السياسية ومشاركا رئيسيا فى الاعتصامات والإضرابات على سلالم نقابة الصحفيين. ونسى الجميع أنها ابنة المرأة الحديدية وهو اللقب الذي تطلقه بعض الصحف الخاصة على والدتها سيدة الأعمال شاهيناز شوكت صاحبة شركة المقاولات المعروفة، وزوجة عزت النعيمي أحد أثرياء العصر الجديد، لدرجة أنهم لم يصدقوا ما نشر على بعض مواقع الإنترنت عن علاقة النعيمى ومصلحته المباشرة فى الكشف عن فضيحة وزارة الإسكان.

ولم يثقوا في المقالات الطائشة التي نشرت فى هذه الصحيفة أو تلك عن انفراد النعيمى تقريبا بسوق الإنشاءات والعقارات بعد إزاحة أقوى الشركات المنافسة له، والقبض على صاحبها وشركائه للتحقيق معهم فيما جاء بالتحقيقات الصحفية التى نشرتها جريدة "المستقبل"،والاستجواب الذى قدمه البرلماني المعارض فى مجلس الشعب.

وانتصرت فى النهاية صورة الصحفية الشابة الجريئة المتمردة وتحولت إلى قديسة وأيقونة أخرى من أيقونات النضال والمعارضة، وساعدها فى ذلك ما تتمتع به من شخصية مرحة، وتلقائية وعفوية

شديدة فى التعبير عن آرائها ومشاعرها بدرجة قد تصل أحيانا إلى "الهلهلية".

فالجمهور عايز كده..والناس تحب ذلك.. وهناك نجوم كثيرون فى الإعلام اعتمدوا فى شعبيتهم عند العامة والدهماء على العفوية المقصودة وتصنع التلقائية والبساطة، لأنهم يعرفون جيدا أن المصريين لا يعجبون على الإطلاق بالشخصيات المرسومة أوالمتحذلقة، ولا يتقبلون أو يستسيغون الوجوه الجادة والمتجهمة أو تلك التى تتصرف بحساب وتتكلم بحساب..ولم تكن داليا من هذا النوع.. بل كنت تشعر حينما تراها بأنك تعرفها من قبل، أو أنك بالتأكيد قابلتها فى مكان ما.

وهو ما شجع زوج أمها عزت النعيمى على أن يسند لها إدارة القناة الفضائية الجديدة التى قرر شراءها من صاحب امتيازها،على أن يعين معها في نفس الوقت أحد الوجوه الإعلامية المعروفة من أصحاب الخبرة فى منصب الرئيس التنفيذى للقناة.

والنعيمي هو نفسه الذي اقترح على داليا أن تقدم بنفسها أهم برامج القناة، وهو برنامج "توك شو" سياسي يتمتع بدرجة عالية من الحرية والجرأة في طرح الملفات الشائكة والقضايا الساخنة، وفتح ملفات الفساد وفضح خصومه من السياسيين ورجال الأعمال أو على الأقل التلويح لهم بكشف المستور، أو الضغط عليهم بطريقة غير

مباشرة، لاستقطابهم أو لتخويفهم، ولكن هذه المرة من خلال برنامج جماهيرى يراه الملايين ويؤثر فيهم، وليس مجرد حملات صحفية موجعة تنشر فى جريدة خاصة توزع آلاف النسخ، ولا تصل إلا إلى جمهور محدود جدا من الناس.

وتحولت داليا فى سنوات قليلة من محررة تحت التمرين إلى واحدة من أشهر الصحفيات فى العالم العربى، ومقدمة لأشهر برنامج "توك شو" على قناة فضائية خاصة، وتقدم لخطبتها أبناء الصفوة وكبار المسئولين ومذيعين معروفين، بل ونجوم فن، لكنها اختارت فى النهاية الاقتران بمحامى شاب وناشط حقوقى معروف تعرفت عليه أثناء إحدى الندوات التى شاركت فيها عن التعذيب داخل السجون. وانجذبت بشدة إلى شخصيته القوية وثقافته الواسعة، وطموحه الذى بلا حدود، وأصبحت تتعمد استضافته كثيرا فى برنامجها، حتى توطدت علاقتهما وطلبها للزواج، لكنها طلبت منه تأجيل الزواج لفترة قصيرة، حتى يتم زفاف شقيقتها الوسطى هناء.

-١٣-

رغم أن حفل خطوبة هناء أقيم فى قاعة كبرى فى أحد فنادق الخمس نجوم، وارتدت فيه فستانا تم تصميمه خصيصا من أجلها فى واحدة من كبريات دور الأزياء الفرنسية فى باريس، ونشرت صور الحفل فى معظم الصحف والمجلات، وحضره نخبة من نجوم المجتمع

ورجال المال والأعمال والفنانين ولاعبى كرة القدم.

وجاء معظم الكبار بالطبع لمجاملة الملياردير عزت النعيمي وزوجته أم العروس شاهيناز شوكت سيدة الأعمال الصاعدة بسرعة الصاروخ، فضلا عن بعض الصحفيين والإعلاميين وعلى رأسهم الكاتب الصحفى المعروف علاء مراد وأسرة جريدة "المستقبل".

أما المفاجأة الحقيقية فى الحفل فكانت هى حضور سارة فخرى، ليس بصفتها الوظيفية كممثلة لإحدى الشركات المتعددة الجنسية التي تمتلك أكثر من فرع لها في عدة عواصم عربية ومن بينها القاهرة، وتتشابك أعمالها ومصالحها مع عدد غير قليل من رجال الأعمال وأصحاب النفوذ العرب، ومنهم عزت النعيمي وشاهيناز شوكت، ولكن بصفتها الإنسانية كأخت رابعة لبنات المرحوم فخرى عبد الحميد الريس الموظف السابق بمصلحة الآثار، والذى هاجر إلى استراليا منذ أكثر من ٢٠ سنة وتوفي هناك منذ شهور.

و حرصت هناء بنفسها على دعوة أختها غير الشقيقة للحفل بعد أن حصلت على رقم هاتفها المحمول من خطيبها سامح. واستطاعت بعد جهد طويل ومحاولات مضنية إقناع أمها بالموافقة على دعوتها لحضور حفل الخطوبة، خصوصا بعد أن عرفت شاهيناز أن زوجها الذى هجرها وتركها وهاجر إلى آخر بلاد الله، قد مات فى غربته أو فى منفاه الاختيارى على حد تعبير سارة نفسها التى كانت

قد حكت لسامح عن معاناة والدها الراحل النفسية والبدنية بسبب ابتعاده الطويل عن وطنه وحرمانه من بناته، وخوفه من العودة إلى مصر ومواجهة زوجته السابقة التي يعرف مدى نفوذها وجبروتها.

وقالت له إن أباها كان يخشى في قرارة نفسه من هاجس ظل يطارده ويجثم على صدره حتى مات، فقد كان متأكدا أن الأم ستحاول بكل السبل تشويه صورته أمام البنات، ولذلك كان يحسب حسابا دائما للحظة لقائه بهن بعد كل تلك السنوات، ولا يعرف بماذا سيبرر لهن تخليه عن فلذات أكباده، والاستسلام المخزى أمام الزوجة وعدم البقاء والقتال من أجل استرداد حقه فى الشعور بدوره كأب لثلاث فتيات في عمر الزهور.

وحكت سارة لسامح أيضا أن أباها اعترف لها بإحساسه بعقدة الذنب والضعف الذى جعله يترك مصر ويهرب.

نعم اعترف لها بأنه اضطر لأن يهرب من الإدارة الفاسدة والمجتمع الظالم، ويهرب في نفس الوقت من الزوجة المتطلعة، بل ويهرب من مسئولية تربية ثلاث بنات فى مناخ فاسد ومسموم.

كل ذلك حكته سارة لمرافقها الضابط الشاب الذى وقع فى هواها من أول نظرة، وحكاه بدوره لخطيبته التى اكتشفت بالصدفة أنها إحدى أخوات سارة اللاتى تبحث عنهن.

وتأملت سارة كثيرا في حكايتها مع هذا الشاب المصرى الذى وثقت فيه وفتحت له قلبها وحكت له أسرارها وتفاصيل حياتها ثم هربت منه بعد صراع طويل مع نفسها، خوفا من أن تتغلب عليه في النهاية طباعه الشرقية وعقليته المتحفظة، ويتحول مع مرور الوقت إلى نسخة أخرى من أبيها الذي كانت تحبه بجنون، لكنها كانت كثيرا ما تختلف معه لأنه رغم كل السنوات التى قضاها فى استراليا لم يستطع أبدا أن ينسى أنه مصرى عربى مسلم.

وهي أيضا لم تكن تريده أن ينسى ذلك، لكنها كانت تريده أن يتفاعل مع المجتمع الجديد وأن يفكر كما يتكلم، وأن يتوقف عن هذا الفصام الذي كان يجعله يعيش بجسده فقط معهم، وروحه وقلبه وعقله في مصر.

وتذكرت كيف كان الأب يدخل معها ومع والدتها فى مشاحنات ومصادمات بسبب رفضه لإقامتها علاقة مع أى شاب خارج نطاق الزواج والارتباط الشرعى.

ولذلك كان لابد أن تبتعد عن سامح رغم إعجابها به وبرجولته وبسلوكه الراقي وثقافته وتهذيبه وجاذبيته. فهى ليست مستعدة الآن أو فى أى وقت آخر للدخول فى مثل هذا النوع من الجدل أو المناقشات مع رجل من المفترض أنها ستعيش بقية عمرها معه.

وقررت الابتعاد والهروب، رغم أن قلبها كان قد بدأ يخفق لهذا الشاب المثالى الذى يجمع على نحو نادر ونموذج لم تلتق به أبدا من قبل بين الوسامة والرجولة وقوة البنيان ودماثة الأخلاق وعمق الثقافة والأصل الطيب.

وحين اتصلت بها هناء، وقالت لها إنها أختها التى تبحث عنها وأنها تدعوها لحضور حفل خطبتها لسامح لم تصدق نفسها من الفرحة ولبت الدعوة على الفور، وبذلت جهودا مضنية لإقناع إدارة الشركة بمنحها إجازة استثنائية والسماح لها بالسفر إلى مصر لحضور حفل خطوبة أختها.

ووصلت سارة القاهرة قبل حفل الخطوبة بعدة أيام حتى تتعرف أولا على أخواتها وتكسر حاجز الزمن والإحساس المتبادل بالدهشة والوحشة.

وتكسر الشعور بأنها إنسانة غريبة عنهن هبطت على حياتهن بالباراشوت لتذكرهن بالأب الغائب، والجانب المجهول فى حياة أمهن التى لا يعرفون سواها أما وأبا وعائلة.

وكانت شاهيناز بالفعل هى الهاجس الأكبر بالنسبة لسارة، ولم تكن تعرف كيف يمكن أن تستقبل خبرظهور ابنة جديدة للزوج المهاجر فخرى الريس فى حياتها، بل ومن زوجة أجنبية تزوجها فخرى فى الغربة بعد أن ترك لها الدنيا فى مصر وهاجر إلى البلاد البعيدة. ولو

كانت سارة قد ظهرت فى حياة هذه الأسرة فى ظروف مختلفة، وبالتحديد قبل إعلان زواج شاهيناز وعزت النعيمى، وخطوبة هناء، وتألق داليا فى عالم الصحافة والفضائيات، وتخرج أمنية من معهد السينما، لكان الأمر قد اختلف تماما، ولكان رد الفعل عنيفا وغير مضمون العواقب.

لكن الأحداث الأخيرة التى غيرت مسار ومجرى حياة شاهيناز وبناتها جعلتهن أكثر قدرة على التسامح وامتصاص الصدمة، وعدم الرغبة فى تقليب المواجع، والبحث عن تفاصيل وأسرار الأب الذى هجرهن وهن فى أمس الحاجة إليه وإلى وجوده، ثم عاد للظهور فى حياتهن مجددا بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، وأصبح مجرد ذكرى.

وأرسل إليهن نائبا عنه، هو ابنته الوحيدة من زوجته الأجنبية وأختهن الرابعة الخواجاية سارة الموظفة الشابة فى إحدى الشركات العالمية المتعددة الجنسية، والفتاة الوحيدة التى كسرت قلب سامح، أو نصف المصرية ونصف الغربية العائدة إلى مصر للبحث عن الجذور، والمدفوعة بوصية الأب المحبط للم الشمل ومحاولة التقارب والاندماج مع أخوات لها لم تنشأ وسطهن، ولم ترهن من قبل فى حياتها طوال عمرها الذى عاشته كله فى بيئة مغايرة تماما، ووسط عالم يختلف كل الاختلاف عن العالم الذى عاشت وتعايشت معه البنات الثلاث.

لكن كل شىء يهون من أجل الإحساس مرة أخرى بدفء

العائلة وتنفيذ وصية الأب، وهذا ما قالته سارة لنفسها وهى تذهب لأول لقاء مع أخواتها.

أما شاهيناز فقد حاولت من جانبها أن تتحلى خلال اللقاء بأكبر درجة من التماسك والدبلوماسية، وألا تذكر زوجها الراحل بأى سوء أمام سارة والبنات، وساعدها كثيرا على تقبل الوافد الجديد على حياتها وحياة بناتها ما تتمتع به سارة نفسها من تلقائية وبساطة شديدة فى التصرف والتعبير، فضلا عن اللكنة الأجنبية المضحكة فى نطقها للهجة المصرية، والتى ذكرتها بشخصيات "الخواجات" فى الأفلام والمسلسلات.

وخصوصا حين سألتها عن الطعام الذى تفضله على الغذاء فقالت لها أنا باهب الملوهية أوى.. وباهب المهشى.. وضحكت شاهيناز من قلبها.

وضحكت البنات بشدة، واندمجت سارة بسرعة رهيبة فى جو العائلة، وحتى هناء التى حكى لها سامح عن قصة حبه وصدمته فى الحب مع سارة، لم تتأثر كثيرا بهذه الحكاية، ولم تشعر بالغيرة منها، وتأكدت حين تعرفت على أختها غير الشقيقة أنها لم تكن تصلح على الإطلاق لتكون زوجة لسامح، وأن انطلاقها واتجاهاتها العملية جدا وسلوكها البرجماتى وأفكارها المتحررة وإصرارها على الاستقلال التام عن أى سلطة أو سطوة يمكن أن تفرض عليها.. كل هذه

الأشياء كانت كفيلة إن آجلا أو عاجلا بإنهاء مثل هذه العلاقة.

وزاد من إحساس هناء بالطمأنينة التحفظ الشديد الذى تعامل به سامح نفسه مع سارة حين دعوه لتناول العشاء معهم فى فيلا شاهيناز الجديدة على شرف سارة فى اليوم التالى لوصولها إلى القاهرة وقبل حفل الخطوبة بأيام قليلة، وبدا وكأن سامح يلتقي بسارة لأول مرة، وحرص على أن يعاملها بمنتهى الرسمية، والأهم أن هناء لم تر فى عينيه أى نظرة أو لمحة توحى بحبه القديم لها، أو بصدمته فيها أو بعذابه بسببها.

وتأكدت أنها نجحت تماما فى أن تجعله ينسى أى ذكرى له مع سارة أو مع أى فتاة أخرى عرفها فى حياته.

لقد أحبته هناء بسرعة لم تكن تتوقعها، واندهشت كيف نسيت فجأة علاقتها الطويلة برامز وحبها الذى كانت تظنه تجاهه، وأحست أنها لم تحب فى حياتها سوى سامح، وأن حكايتها مع رامز لم تكن إلا رغبة فى التمرد على الروتين والتقاليد، وأن ما جذبها إلى هذا الشاب البوهيمى هو إحساسه وسلوكه الفوضوى الذى يتناقض مع العقل ويتمرد على الأعراف والتقاليد.

لكنها كانت تشعر طوال علاقتها به أنها ليست مقتنعة من داخلها بهذه العلاقة، وأنها تعند فقط مع نفسها ومع من حولها لأن الآخرين يشيرون لها على هذا التناقض ويؤكدون عليه ويلومونها

باستمرار من أجله، وينصحونها بأن تهجره وتختار شابا آخر من عشرات الشباب الذين يحومون حولها فى كل مكان ويتمنون إشارة من إصبعها.

والأمر كله كان بالنسبة لها عنادا فى عناد، وهى الآن عثرت على فتى أحلامها الذى يجب أن تحسدها عليه أى فتاة.. وجدت سامح ولن تسمح لأى أحد أو لأى شيء بأن يفسد علاقاتها به.

وها هى سارة تأتى لتثبت لها صدق حب سامح لها وأنه لم يعد يرى فى الوجود غيرها.

جاءت سارة لتحضر حفل خطبة أول بنت من بنات فخرى الريس، جاءت بديلا ورمزا لذكرى الأب الغائب.. وفرحت ورقصت وأهدت أختها هدية فاخرة اشترتها لها خصيصا من محلات هارولدز التي يمتلكها الملياردير المصري محمد الفايد في العاصمة الانجليزية لندن.

-١٤-

دخلت هناء فى سباق مع الزمن حتى تنتهى بسرعة من تأثيث عش الزوجية، وكان عبارة عن شقة مستويين اشتراها المحامى على الجرايحى لابنه الوحيد فى إحدى عمارات منطقة مصر الجديدة الراقية، ووضعت هناء كل ما تعلمته من دراستها في كلية الفنون الجميلة، وما اكتسبته من خبرة بفضل عملها في شركة كريم فوزي، وما قرأته في

مجلات الموضة والأثاث والديكور في تصميم العش الجديد.

وكانت حريصة في نفس الوقت على إشراك سامح فى اختيار أثاث وتجهيزات وديكورات الشقة، ليس فقط من باب الشورى والديمقراطية وعدم رغبتها في فرض رأيها وذوقها عليه، ولكن لأنها تأكدت بنفسها نظريا وعمليا أن زوج المستقبل لا يقل عنها حبا للجمال وإحساسا به.

ولذلك فلم تكن تفعل شيئا بدون استشارته على الأقل تليفونيا وكان يقطع مهمته الرسمية فى شرم الشيخ ويأتى إلى القاهرة ولو لساعات حتى يتناقش مع هناء فى تفاصيل تجهيز شقة الزوجية التى حولتها هناء إلى ما يشبه متحفا صغيرا للفنون، بداية من باب الشقة الذى اختارت لصناعته "خشب الأرو" حتى يسمح سطحه الأملس بالرسم والحفر عليه بسهولة.

واستعانت باثنين من أمهر فنانى الحفر على الخشب فى مصر لعمل رسومات عليه عبارة عن زخارف إسلامية معظمها من المقرنصات "المحلاة بالتوريق" وهونفس ما فعلته فى المرآة الضخمة التى تتصدر الجزء الأمامى للصالون، والذى يواجه مدخل الشقة مباشرة.

وتعمدت هناء أن يكون هذا الركن معبرا عن التراث العربى والحضارة الإسلامية، فأحاطت المرآة بإطار كبير من الخشب المزين بالنقوش والرسوم على الطراز الأندلسى، فى نفس الوقت الذى

استخدمت فيه المرايا بخلفيتها من الأعمدة الخشبية للايحاء باتساع المكان وتسريب إحساس للضيف بأنه يجلس فى جو عربى إسلامى أصيل.

أما الجانب السفلى من الحائط فقد تركته بدون رسوم أو زخارف حتى تبتعد عن "البهرجة" المبالغ فيها ولا تجعل ضيوفها يشعرون بازدحام المكان، ولذلك أيضا فقد اختارت "النجفة" التى تتوسط هذا الجزء من الطراز التركى الملتصق بالسقف والمضاء بالفينارات، وهو نفس الطراز الذى يتأكد تماما بوجود أريكة أسبانية تتلاءم مع الزخارف الأندليسية.

ولأن الألوان الشرقية كانت صريحة وساخنة في معظم أركان عش الزوجية الجديد.

فقد نصح سامح زوجة المستقبل بأن تعتمد في هذا الجزء على المفروشات السادة غير المنقوشة والألوان الهادئة والمحايدة حتى تقلل من الإحساس بالزحام والبهرجة.

وفى الجزء الثانى من الصالون، وضعت هناء باهيه من الطراز الفرنسى وقطعة أنيتكات قديمة من نفس الطراز تنتمى إلى القرن الثامن عشر، وهى عبارة عن تمثال من البرونز لفتاة في لحظة تأمل ويتوسطه ساعة جميلة ويستند على قاعدة من الرخام، والتمثال تحفة فنية حقيقية، وأهداه لها زوج أمها عزت النعيمى يوم حفل الخطوبة،

وكان قد اشتراه من أحد المزادات فى باريس بمبلغ خرافى.

واستكملت العروس هذا الجو الفرنسى فى الصالون بمنضدة مستديرة ومصنوعة من الخشب المحفور وعليها رخامة وردية اللون وتتوسطها قطعة من الفضيات، وحولها قطع من الكريستال أبرزها كوب كبير للورود، جمعت فيه بين الزهور الطبيعية والمجففة كلمسة جمالية مختلفة..أما فى الركن فوضعت "كونصول" فرسنى الصنع فوقه مرآة ووجهه عبارة عن درج لوضع السكاكين والشوك والملاعق.

وعلى عكس الطابع الفرنسى الذى يسود أثاث الجزء الثانى من الصالون.

حرصت هناء بالتشاور مع سامح بالطبع على أن يتناسب أثاث الجزء الأول من الصالون مع الجو الأندلسى الشرقى من خلال "النيش" المبطن بالحرير "الكابتونية" والفازات المصنوعة من البورسلين، أما النيش نفسه فهو من الخشب العادى، ومحلى بشريط ذهبى، ولونه هو نفس لون السقف، الماربليزينج القريب من اللون البيج والشبيه بلون الرخام.. واختارت هناء هذا اللون الهادئ حتى تحقق انسجاما فى الألوان وتقلل من طغيان اللون الذهبى الذى يسود هذا الركن من الشقة.

أما غرفة السفرة فهى مفتوحة على الصالون بجزئيه لاستغلال

المساحة بأفضل طريقة ممكنة، واختارت هناء وسامح منضدة السفرة على شكل سداسى الأضلاع حتى تسمح بجلوس عشرة أفراد حولها فى حالة استقبال ضيوف، وكونصول غرفة السفرة يعكس نفس روح الحفر على الخشب، ويفصل بين غرفة السفرة والجزء الثانى من الصالون "فازة" كبيرة على شكل كأس محاط بالملائكة ومصنوع من البرونز، ترك على لونه الأصلى حتى يوحى بالطرافة والقدم.

وعلى جانبى الكأس وجهان لأسدين مع بعض الورود المطروقة والمفرغة من الداخل.

وتعمدت هناء اختيار هذا الكأس ليكون بمثابة فاصل وهمى بين الغرفتين بدون الحاجة إلى تضييق المساحة باستعمال فاصل حقيقى بينهما.

وبجانب غرفة السفرة خصصت ركنا جميلا وجديدا على البيوت الشرقية، وهو الركن الأحمر الذى قامت هناء بتصميمه بنفسها لاحتساء أقداح الشاى والقهوة والعصير بعد الانتهاء من تناول الطعام، واختارت أثاثا بسيطا جدا له عبارة عن أريكة تم تنجيدها بقماش قرمزى من الحرير "الدماسية" وخلف الأريكة "بارافان" معلق على الحائط يحتضن المكان ولا يساهم فى ازدحامه.. وهو مصنوع من الخشب المطعم بالعاج والأحجار نصف الكريمة مثل "الجادو"

و"المرجان".

وعلى جانبي الأريكة زوجان من الدواليب من طراز "مابينت" وضعت فوقهما أباجورة على شكل بوذا لتكمل الإحساس بجو الشرق الأقصى الذى توحى به فازتا المينج.

ولعبت هناء فى هذا الركن بالألوان الساخنة، الأحمر، مع الأسود، مع الأخضر الفوربيه، وهو لون خضار شجر الغابة، واختارت فرش الكراسى من نفس اللون، أما ألوان خشب الكراسى فاختارتها من اللون البندقى المبطن باللون البرونزى المجنزر "المطفى" حتى يعطى الإحساس بالقدم.

وصممت هناء على أن يسود المستوى الثانى من الشقة طابع المزج بين اللمسات الجمالية والروح العملية حتى لا يتحول البيت إلى متحف بلا روح أو راحة.. فيتوسط الغرفة صالة صغيرة تم دهان حوائطها بنفس اللون الأخضر الهادئ وجميع أبواب الغرف طليت باللون البنى، أما الأرضية فقد اختارتها من نوع معين من السيراميك الذى يشبه لون الباركيه.

ويتوسط الصالة فى مدخل الدور الثانى مرآة كبيرة للاستخدامات اليومية وضعتها داخل إطار من الخشب البنى الغامق، وهو اللون الذى قامت بتعميمه على كل ركن فى المستوى الثانى من الشقة، بداية من المدخل ومرورا بغرفة المعيشة التى تتصدرها نافذة

تعطى إضاءة قوية ومبهجة، وخلفها نبات "الجهنمية" الذى يوحى بوجود حديقة خلف النافذة.

واقترح سامح عليها إلغاء باب الغرف لتحقيق مزيد من الاتساع، وحتى تبدو وكأنها امتداد طبيعى للصالونين الموجودين بالمستوى الأرضى، وتم تبطين حوائط غرفة المعيشة بالقماش على خلفية من الإسفنج، أما أريكة هذه الغرفة فهى من نوع "ريمبورييه" ويمكن فتحها لتتحول إلى سرير مريح للغاية فى حال استقبال ضيوف، أما لون القماش فهو من "البيج" غير القابل للاتساخ بسهولة، والذى تم رشه بنوع خاص من الإسبراى العازل للأتربة.

واختار سامح كرسى "فوتييه" مريح أمامه "بونكيت" صغير ومكتب للاحتفاظ بالأوراق المهمة من طراز "أوميد" الفرنسى ليتماشى مع المنضدة الموجودة فى وسط الغرفة والتى تنتمى هى الأخرى إلى نفس الطراز..أما الإضاءة فهى مدلاة من السقف على شكل ملاك طائر، بالإضافة إلى أباجورة قديمة من البرونز اشتراها سامح من أحد محلات التحف والأنتيكات بالزمالك..ولتحقيق الإحساس بالاستدارة قامت هناء بوضع كرسى من طراز لوي كانز، وكرسى آخر من طراز كوربى المقفول وأمامه مسند صغير للقدم.

ولأن سامح عاشق للقراءة، فقد قام بنفسه باختيار المكتبة بحيث تتناسب مع المحتويات التى سيتم وضعها فيها، ففى أحد

جوانبها مكان سرى خفى وضعت به ثلاجة صغيرة ويفتح بباب جميل من الخشب المحفور، فضلا عن وجود أماكن لوضع الكتب والموسوعات ومكان آخر لوضع جهاز تليفزيون كبير.

أما غرفة النوم فقد اختار سامح وهناء لون طلائها من درجة تقع بين اللونين البمبى والليمونى وستائرها من القماش المشجر "الأميريميه"،وقامت هناء بتصميم السرير بحيث يمكن وضعه داخل البلاكار لكسب مزيد من المساحة، ووضعت فى الغرفة "بلاكارات" أخرى لتخزين ملابس الصيف والشتاء.

أما التسريحة فهى عبارة عن "بارافان" فرنسى تم تبطين جوانبه، وأضيف إليه دولابان صغيران لوضع أدوات التجميل الخاصة بالعروس، والاكتفاء بوضع مرآة صغيرة بإطار من الفضة فوق التسريحة مع إضاءة خفيفة من خلال تمثال لملاك يحمل شعلة، أما الأبليكات فهى من نفس نوع النجفة ومصنوعة من البرونز أيضا والإنارة فيها على شكل "خرشوفة".

وبجوار غرفة المعيشة غرفة صغيرة لولى العهد، وكلها مبطنة ومحلاة بقماش القطن، عبارة عن رسم لجلد النمر، وبها سرير لطفل عبارة عن جزء داخل "البلاكار" بالعرض يتم الصعود إليه بسلالم، وهناك غرفتان أخريان للأطفال لم تقم بتأثيثهما فى انتظار ما يرزقهما به الله من بنات وبنين.

لم تشعر شاهيناز طوال حياتها بهذا الشعور بالنجاح والرضا بعد رحلة عذاب طويلة، منذ ان هجرت بيت زوجها اليائس المحبط الكسول، وعادت إلى بيت أبيها، ومعها ثلاث بنات فى عمر الزهور، المطلوب منها أن تخوض بهن معركة الحياة وتربيهن كما تربت على العزة والكبرياء والاستغناء عن الناس.

وزال عنها إحساس ظل يلازمها طويلا بالحنق الشديد والغضب على والد بناتها الذى تمردت على خنوعه وانسحابه من الحياة، فترك لها البلد بمن فيها وما فيها وهاجر إلى استراليا، وأحست وهى تستمع إلى كلام سارة عنه بإحساس جارف بالتعاطف معه، بل وبقدر غير قليل من الشعور بالذنب، لأنها هى الأخرى تخلت عنه فى محنته، ودفعته دفعا إلى طريق لم يكن يريد السير فيه، حتى يحقق لها أحلامها وطموحها بالحياة الناعمة المرفهة، ويعيد لها أمجاد عائلة أمها التركية، التى ربتها علي العز والفخفخة وزرعت داخلها شعورا وإيمانا بأنها من طينة مختلفة من البشر.

واسترجعت من كلام سارة ذكرى معاناة زوجها الراحل الشريف مع الفساد والبيروقراطية ومحاولاته اليائسة للوقوف فى وجه من يريدون نهب تراث وتاريخ وآثار هذا الوطن ليحققوا من وراء بيعها وتهريبها الثروات المحرمة.

وأحست بشئ من الخجل لأن ذلك كله لم يكن أبدا يعنيها أو يمثل عائقا فى طريق تحقيق طموحاتها الشخصية، واعترفت لنفسها بأنها كانت هى الأخرى ضعيفة، وأنانية، وأنها كان يجب عليها أن تقف إلى جانب زوجها لتسانده وتعضد موقفه وتساعده على الثبات فى وجه خصومه، بدلا من أن تمثل عبئا وضغطا إضافيا عليه وعلى أعصابه.

ولم تستسلم شاهيناز طويلا لهذه الخواطر..فالوضع الآن مختلف و ذلك كله مجرد تاريخ وانتهى، فهى الآن شاهيناز هانم سيدة المجتمع، وزوجة واحد من أكبر الاقتصاديين فى البلد، بل وفى العالم العربى كله، وابنتها مذيعة مشهورة وصحفية لامعة ومديرة لقناة فضائية واسعة التأثير.

وابنتها الأخرى فنانة تشكيلية وتعمل في أكبر شركة للدعاية والاعلان، وتنتظر زفافها بعد شهور قليلية، وعريسها شاب وسيم ومحترم، ووالده المحامى على الجرايحى من أعز أصدقائها ومستشارها القانون وشريكها من الباطن فى شركتها للمقاولات والاستشارات العقارية.

وابنتها الصغرى أمنية هادئة وعاقلة ورقيقة وموهوبة والأولى على دفعتها في معهد السينما.

والجميع يتوقع لها أن تصبح مخرجة متميزة وسط الجيل الجديد

من المخرجات الواعدات اللاتى اثبتن وجودهن، سواء فى السينما أو فى الدراما التليفزيونية.

وحتى حماة ابنتها التى لم تنجح أبدا فى التواصل معها والتقرب منها، لم تجد ما تعترض عليه فى شخصية ابنتها الجميلة الرقيقة المهذبة،ولم تستطع أبدأ استفزازها بما تتفوه به أمامها أحيانا، من ألفاظ قاسية أو تعليقات مزعجة، وهى فى البداية والنهاية تحب ابنها إلى درجة الجنون، وترى بنفسها التحول الكبير فى شخصيته وإحساسه بالحياة بعد اقترانه بهناء.

كما أن الولد رفض من تلقاء نفسه أن يقيم مع والده ووالدته فى الفيلا التي ورثتها نجوان عن والدها، واختار أن يعيش مع عروسه فى شقة مصر الجديدة، لأنه يعلم جيدا أن أمه لن تتنازل عنه بسهولة لامرأة أخرى تخطفه منها حتى ولو كانت عروسه، وأم أحفادها المنتظرين.

والشىء الوحيد الذى كان ينغص على شاهيناز حياتها ويسرق النوم من عينيها هو ولع زوجها عزت النعيمي المرضى بالنساء وعيونه الزايغة التى تجرحها وتحرجها فى كل مكان وأى مجتمع تذهب إليه وهى فى صحبته، فهو ينظر إلى أية امرأة جميلة نظرات جريئة ومكشوفة، ولا يشبع ولا يقنع بعلاقة واحدة.

وهو لم يطلب الزواج منها إلا بعد أن تأكد أنها ليست صيدا

سهلا يمكن أن يغويه أو يغريه بتسهيل صفقة عقارية أو التوسط لانهاء مشكلة لدى بنك أو المساعدة فى إرساء مناقصة من المناقصات عليها، وظل يحاول معها كثيرا بعد أن تعرفت عليه فى إحدى حفلات افتتاح مشروع من مشروعاته الاستثمارية التى كانت تتولى بعض الأعمال فيها كمقاول من الباطن، ويغريها بكل السبل، حتى تسافر معه إلى باريس وتقضى أياما فى شقته هناك.

لكنها رفضت بشدة وحرصت فى نفس الوقت على ألا تخسره أو تنفره منها، فاضطر فى النهاية لإعلان رغبته فى الزواج منها، واشترط عليها أن يظل أمر هذا الزواج الشرعى الرسمى سرا بينهما حتى لا يغضب زوجته الأولى وأم أولاده، على أن يعلنه فى الوقت المناسب، ثم اضطر في النهاية إلى إعلان الزواج بعد أن كاد أمر علاقتهما يتحول إلى فضيحة.

ولكنه سرعان ما عاد إلى عاداته القديمة أو قل إنه لم يتخل عنها ابدا، وظلت متعته الكبرى هي الايقاع بامرأة جديدة حتى يثبت لنفسه أنه لا زال مرغوبا، وحتى يختبر قدارته وتأثيره على النساء.

وكانت طريقته التي لا يغيرها على الاطلاق في الايقاع بالنساء.

هي أن يتقرب بكل السبل والوسائل من المرأة التي تلفت نظره وتثير رجولته، ويظل يمطرها بالهدايا الثمينة ويستعرض أمامها سطوته ونفوذه، حتى تستسلم له في النهاية، فيبحث عن أخري ليجرب معها

نفس اللعبة.

والخطير هذه المرة أنه غارق لشوشته فى حب سيدة عربية تنتمي إلى إحدى العائلات الحاكمة في الخليج وتتمتع بجمال عربي لم ير مثله في حياته ويذكره بصورة العربية في حكايات ألف ليلة ليلة كما تصورها بعض أفلام هوليوود القديمة.

وتعرف النعيمي على هذه الأميرة حين اشترت فيلا فاخرة فى أحد منتجعاته بإحدى المدن الجديدة، ومن يومها انقلب حاله وتبدلت حياته، ورغم أنها لم تكن تحتاج المال أو ينقصها الثراء، إلا أنها كانت تستمتع بإذلال الرجال ولا يرضي أنوثتها سوى أن يركعوا أمام جمالها ويمنحوها عن طيب خاطر ما لا يمكن أن يتصور أحد أن يمنحه رجل لامرأة.

وكان أثرياء العرب من المحيط الى الخليج يتنافسون عليها، ويبذلون الغالي والنفيس لاسترضائها والفوز بها.

ودفع النعيمي دم قلبه لكي يبرهن لها على انبهاره بجمالها وبشخصيتها، فمنحها فيلا أخرى غير التي اشترتها منه ولكن هذه المرة بدون مقابل فى كومباوند يملكه فى العين السخنة.

ولم يكتف بهذه الهدية التى زاد ثمنها عن خمسة ملايين جنيه، ولكنه التقى بها فى لندن خلال قضائها فترة للاسترخاء والاستشفاء

هناك، واشترى لها شقة فى العاصمة الإنجليزية بثلاثة ملايين جنيه استرلينى حتى تكون عش غرامهما.

وفوجئت شاهيناز بأحد الأثرياء العرب الذين يملكون شقة فى نفس العمارة بلندن، والذى كانت قد تعرفت عليه فى مؤتمر دولى للترويج العقارى حضرته منذ عامين فى دبى، فوجئت بالثرى العربى يتصل بها ويخبرها عن غراميات زوجها عزت بيه فى لندن، والانتقادات الشديدة التى يوجهها له أصدقاؤه من رجال الأعمال العرب بسبب سلوكه غير المنضبط وإنفاقه ببذخ على الأميرة العربية التي أوقعته في حبائلها وقد يؤدي به وقوعه في غرامها لأن يفقد كل ثروته بل وحياته نفسها.

ولم تجد شاهيناز فى نفسها طاقة أخرى تبذلها فى الصبر على زوجها زير النساء، الذى تدين له بتحولها من مجرد سمسارة شقق وعقارات ومقاول صغير من الباطن فى أعمال إنشاءات محدودة، إلى سيدة أعمال معروفة، وصاحبة واحدة من أكبر الشركات الاستشارية فى المنطقة العربية.

وهو الفضل الذى يطوق رقبتها ويجعلها تكبت غضبها داخلها، ولا تواجه زوجها بما تسمعه عنه من حكايات وحواديت حول مغامراته النسائية.

لكنها لن تستطيع أن تصمت عليه وعلى تصرفاته المشينة إلى

الأبد..وإذا كان النعيمي لا يراعى كرامة زوجته الأولى ابنة رئيس الوزراء الأسبق وسليلة الحسب والنسب، أو سمعة وكرامة أبنائه وأحدهم قاض محترم والثانى خبير بورصة معروف وصاحب شركة كبيرة للأوراق المالية، وابنته الوحيدة موظفة مرموقة بالأمم المتحدة.

إذا كان لا يراعى شعور هؤلاء فما الذى يجعله يراعى كرامتها وكبريائها، وهى زوجته الثانية التى أجبرته شهوته وحبه للنساء على الزواج منها بعد أن فشل فى الحصول عليها بأى ثمن آخر، ثم اضطرته الظروف مرة أخرى لإعلان هذا الزواج.

وقررت شاهيناز بعد تفكير طويل وصراع مرير مع النفس أن تواجهه بالحقيقة بمجرد عودته من لندن، وتقول له إنها تعرف كل شىء عنه وعن شخصية شهريار التى يتقمصها وعن رائحة مغامراته التى بدأت تزكم الأنوف، وأصبحت مادة أساسية لأحاديث النميمة فى مجتمع المال والأعمال ودنيا النوادى الراقية.

وهو وإن كان يستطيع شراء سكوت رؤساء تحرير الصحف الصفراء لعدم نشر أخبار غزواته النسائية، بسبب الإعلانات التى ينشرها فى صحفهم عن شركاته ومشروعاته ويطعم بها الفم حتى تستحى العين، وإن كان يستطيع أيضا أن يلجم ألسنة خصومه بما يملكه من مال وسلطة ونفوذ، زاد كثيرا بعد أن أصبح لديه صحيفة مستقلة وفضائية خاصة يرهب بهما أعداءه.

إلا أنه لن يستطيع أن يجبرها على السكوت إلى الأبد، وهى لن تقبل أن تظل واحدة فى قفص حريمه، أو وردة ذابلة في عروة جاكتته، أو واجهة اجتماعية يتباهى بها وأحيانا أخرى يتستر وراءها.

وصممت شاهيناز على تلك المواجهة مهما كانت الخسائر، وحتى لوكانت النتيجة هى إعلان النعيمى الحرب عليها فى السوق، وطرد ابنتها من الفضائية التى يملكها، فالبنت موهوبة ومشهورة وأى صحيفة أو فضائية تتمنى أن تعمل بها، أما هى شخصيا فلم تعد تريد شيئا من الحياة بعد أن أطمأنت على بناتها ووضعت أقدامهن على أول طريق النجاح والاستقرار.

وهى لديها ما يكفيها لتعيش بقية عمرها مستورة وتزوج ابنتيها الأخريتين ولا تحتاج شيئا الآن من النعيمى..فكفاها إحساسا بالذل والمهانة وكفاه كذبا عليها ولعبا بمشاعرها.. وليذهب ماله ونفوذه وسلطانه إلى الجحيم.

ولتحتفظ ابنة الأصول بكرامتها وعزتها..ولتظل دائما المرأة المصونة التى لم يجرؤ أحد على النيل من شرفها أو شراءها أو إذلالها مهما كان الثمن.

وظل هذا المونولوج الداخلي يتكرر داخل نفسها ويحرمها من النوم بالليالي الطوال، وعاشت أيام عصيبة وعرفت لأول مرة في حياتها طريق المهدئات التي أصبحت تدمنها ولا يغمض لها جفن بدونها،

وزاد من عذابها أنها لا تجد من تبوح أو تفضفض له بما يشغل بالها ويحزنها ويفقدها الاحساس بطعم الحياة.

وهي لا يمكن أن تحكي شيئا من ذلك لبناتها، ليس لأنهم سيشمتون فيها ويقولون لها وما الذي رماك على هذا الرجل، ولكن لأنها تخجل من أن تحكي لهم مثل هذه التفاصيل المشينة، أما صديقها المحامي علي الجرايحي فهو يعرف كل هذه التفاصيل وأكثر، وهو في البداية والنهاية رجل شرقي في مجتمع ذكوري يتيح للرجل الاستمتاع بما شاء من النساء ما دام يمتلك القدرة على ذلك.

كما أن علاقة المصاهرة التي أصبحت تجمعهما بعد عقد قران هناء وسامح كانت أيضا تكبلها وتشعرها بالخجل من أن تناقش موضوع غزوات النعيمي النسائية معه.

ولم تجد شاهيناز أمامها سوى أن تبتلع غيظها وتكبت حنقها وتنتظر اللحظة التي تواجه فيها زوجها زير النساء بكل ما يقال عنه وبرغبتها في الطلاق منه وليفعل الله ما يريد.

- ١٦ -

كانت داليا تجلس وسط فريق الإعداد لبرنامجها الشهير لتتناقش معهم حول فقرات البرنامج، وضيوف كل فقرة، حين تلقت رسالة قصيرة عبارة عن خبر عاجل بثته إحدى شبكات الأخبار

المشتركة فى خدمتها على تليفونها المحمول..والرسالة من سطر واحد.. " العثور على جثة رجل أعمال مصرى معروف في شقته بحى بروكلين بلندن".. وبعد دقائق تلقت رسالة أخرى من نفس الشبكة تكشف شخصية صاحب الجثة وهو زوج أمها عزت النعيمى.

ولم تكد داليا تتمالك نفسها من وقع الصدمة حتى تلقت اتصالاً من أمها تبلغها فيه أن ضابطاً من شرطة اسكوتلانديارد اتصل بها منذ دقائق قليلة وأبلغها بالخبر الصاعقة، وقال لها إن التحقيقات الأولية فى الحادث تشير إلى مقتل النعيمى بطعنات نافذة في الصدر والبطن وأنه لم يبد مقاومة تذكر بسبب وقوعه تحت تأثير الخمر.. ويطلب منها الحضور بسرعة إلى العاصمة الإنجليزية مع محاميها للإدلاء بأقوالها والقيام بالاجراءات القانونية اللازمة لاستلام جثة القتيل بعد الانتهاء من تشريحها لمعرفة أسباب الوفاة.

وطلبت شاهيناز من ابنتها الصحفية اللامعة والمذيعة الشهيرة أن تلحق بها فى مكتب على الجرايحى المحامى بعد الانتهاء من تصوير البرنامج ليقرروا ما يمكن فعله إزاء هذه الصدمة المروعة.

وكلفت داليا فريق إعداد البرنامج بالبحث فى شبكة الانترنت ومواقع الأخبار العالمية والمحلية عن أى تفاصيل جديدة تم التوصل إليها فى قضية مصرع النعيمى التى أصابت سوق الأوراق المالية فى مقتل، وأدت إلى هبوط فورى وغير مسبوق فى أسهم شركات

العقارات التى يمتلكها.

وأصدرت داليا أوامرها للعاملين بالقناة لوقف كل البرامج والاكتفاء بإذاعة القرآن الكريم طوال ساعات إرسال القناة، لكن القنوات المنافسة تعاملت مع الموضوع بمهنية شديدة ولم تلق بالا لاسم النعيمي ووضعه في السوق والحزب ودوائر السلطة والنفوذ، وأرسلت مقدميها المعروفين لعمل تحقيقات تليفزيونية مصورة من موقع الحادث. وأفردت الصحف الحكومية والخاصة صفحات مطولة لكشف غموض وملابسات الجريمة، واستغلت مذيعة معروفة بكراهيتها الشديدة لداليا التي بدأت تسحب البساط من تحت أقدامها في الفترة الأخيرة وتنتزع منها لقب ملكة برامج "التوك شو" الذي يطلق عليها منذ فترة طويلة هذا الحادث للتشهير بمنافستها ووالدتها وزوجها رجل الأعمال القتيل.

وتعمدت أن تذكر في التقرير الإخبارى السريع الذي بدأت به برنامجها حول خبر وفاة النعيمى فى ظروف غامضة فى العاصمة الإنجليزية، أن الحوت القتيل هو زوج أم الزميلة المعروفة داليا فخري، واختتمت التقرير بجملة مستفزة.. وقالت " ولا ننسى أن نؤدي واجب العزاء للزميلة داليا على الهواء مباشرة"، وأعقبت التقرير باتصال تليفونى عبر شبكة الأقمار الصناعية مع السفير المصرى فى لندن، الذى التزم بالتقاليد الدبلوماسية، وأكد أن التحقيقات فى الحادث

لاتزال فى بدايتها، ولا يمكن التكهن حتى الآن بالفاعل أو دوافع الجريمة.

واستطلع البرنامج أيضا آراء الخبراء والمتعاملين فى البورصة الذين أبدوا تشاؤما ً كبيرا ً حول مصير التعاملات فى أسهم شركات النعيمى، خاصة وأن شركاته كانت تتربع قبل دقائق من الحادث على قمة الأسهم الأكثر رواجاً، وأن مثل هذه الجريمة البشعة قد تهز مكانة تلك الشركات فى سوق الأوراق المالية، خاصة وأن النعيمى كان يملك كل الخيوط فى يده، ولم يجهز شخصية أخرى بارزة تستطيع أن تدير تلك الشركات بنفس الدرجة من الكفاءة.

واتجهت الأنظار نحو شاهيناز شوكت زوجة رجل الأعمال القتيل باعتبارها زوجته الثانية وشريكته فى عدد كبير من مشروعاته الإنشائية، والشخصية المرشحة بقوة لخلافته فى إدارة امبراطوريته الضخمة.

ورجح من كفة شاهيناز في تلك الترشيحات أن أولاد النعيمي من زوجته الأولى كانوا بعيدون عن عالم المال والأعمال، فيما عدا ابنه خبير البورصة الذي كان على خلاف دائم مع والده طوال حياته، واستقل بنفسه تماما عنه وعن مشروعاته وحقق نجاحا كبيرا من خلال شركته للأوراق المالية دون الحصول على أية مساعدة من النعيمي.

وحجز الجرايحي ثلاثة تذاكر فى أول طائرة مغادرة إلى لندن من القاهرة، ووصل الثلاثة شاهيناز وداليا والجرايحى إلى مطار هيثرو بعد ساعات قليلة من إعلان الفجيعة، وحجزوا فى فندق قريب من المطار باتوا فيه ليلتهم.

وفى الصباح الباكر اتجهوا إلى مقر شرطة سكوتلانديارد حيث استقبلهم هناك الضابط المكلف بالتحقيق فى قضية مقتل النعيمى واصطحبهم إلى شقته، وسلمهم بعض متعلقاته الشخصية التى لن يتم الاحتياج إليها فى استكمال التحقيقات.

وألقى الثلاثة نظرة سريعة على الشقة وعرفوا المكان الذي تمت فيه جريمة القتل، والذي أحاطه رجال البحث الجنائي بالطباشير، وأبلغهم ضابط اسكوتلانديارد أن الشرطة تحفظت على عدد من كؤوس الخمر، كان على إحداها آثار أحمر شفاه لسيدة رجحت التحريات المبدئية أنها قضت معه سهرة حمراء قبل ساعات قليلة من مقتله.

وقال تقرير الطب الشرعي أن النعيمي مات مقتولا بأكثر من ستين طعنة نافذة في الصدر والبطن من سكين من النوع الذي يستخدم في رحلات الصيد والسفاري.

وقال الضابط لهم أيضا إنه تم التحفظ على ملاءة سرير النعيمى التى عثر بها على آثار لحيوانات منوية خاصة برجل الأعمال

القتيل، وتم رفع بصمات عدد من النساء شاركنه السرير، وبعض شعرات لهن لاتزال تخضع للفحص من قبل إدارة الطب الشرعى وقسم البحوث الجنائية، التى قامت أيضا ً بتحليل حامض الدى. إن. إيه الخاص بالنعيمى، وملابس داخلية نسائية تم العثور عليها فى دولاب المجنى عليه، يتم أيضا ًرفع البصمات عنها لمضاهاتها بآثار أحمر الشفاه الموجود على كأس الخمر، لمعرفة ما إذا كانت تخص نفس السيدة التى قضت معه السهرة الحمراء.

ولم تهتز شاهيناز كثيرا ًحينما سمعت بأنباء علاقات أرملها النسائية والتى كانت أخبارها تتناثر إليها وتصل إلى مسامعها فى كل مكان تذهب إليه.

وكل ما كان يشغلها هو معرفة حقيقة ماحدث، والسبب الذي يمكن أن يدفع شخصا ما لقتله بهذا الكم من الغل والعنف والرغبة في التشفي والانتقام.

واسترجعت شريط حياتها معه وكيف كان يتصور أن أمواله ونفوذه وقربه من السلطة يمكن أن تبعد أي خطر عنه، وتجعل أعداءه يترددون ألف مرة قبل أن يفكروا مجرد تفكير في أن يغدروا به أو ينتقموا منه ومن أفعاله فيهم.

وتذكرت قائمة طويلة من الشخصيات الكبيرة والهامشية يتمنون جميعا اليوم الذي يسمعون فيه خبر موت النعيمي وانمحائه من

على وجه الدنيا، وعلى رأسهم صاحب شركة الاستشارات الهندسية الذي زج به مؤخرا في السجن وقضى على طموح صهره مسئول الاسكان الكبير السياسي وأجبر الحكومة على إقالته، رغم أنه كان واحدا من خدمها وأنشط العاملين فيها.

كما تذكرت عشرات النساء من زوجات شخصيات معروفة أغراهن النعيمي بماله وهداياه ونفوذه وأقام معهن علاقات في الحرام، وتذكرت الأميرة الخليجية التي حدثها عنها رجل الأعمال العربي وقال إن زوجها قد يفقد بسببها كل ثروته بل وحياته.

واندهشت كيف قررت هي شخصيا في لحظة يأس وضعف وإحساس بامتهان الكرامة وفقدان الشعور بالأمان والكبرياء أن تطلب منه الطلاق وتصر عليه رغم كل شئ، وإلا فإنها ستقتله.

نعم فكرت شاهيناز في لحظة أن تقتله، وهو الذي صنعها ورفعها إلى عالم الشهرة والأضواء والمال والنفوذ، فما الغريب أن يقتله شخص آخر يكرهه أو يحنق عليه أو يريد الانتقام منه لنفسه أو لشرفه.

والمهم أنه مات وانتهى ولم يعد له وجود..والأهم أنها أصبحت بعد موته الآمر الناهي في شركاته ومكاتبه..أصبحت المرأة الحديدية التي يحسب لها الجميع مليون حساب وينتظرون مجرد إيماءة من عينيها أو إشارة من إصبعها.

المهم أن حلمها الذي عاشت حياتها كلها من أجله، وظنت أنه من الممكن أن ينهار في لحظة إذا غضب النعيمي عليها أو رفض أن يطلقها، الحلم الذي لا يعوضه حتى نجاح واستقرار بناتها، وهو الكلام الذي كانت تواسي به نفسها كلما تصورت رد فعل هذا الرجل على طلبها الانفصال عنه وعن عالمه ومشاريعه.

الحلم الذي ظل يطاردها في يقظتها وفي أحلامها وجعلها تتمرد على زوجها وأبو بناتها لأنه لن يستطيع ولا يريد أن يحققه لها..الحلم الذي كانت ترى فيه نفسها ملكة متوجة والرجال يتساقطون عند أقدامها ويتمنون رضاها ويتمسحون فيها..هذا الحلم قد تحقق بالفعل الآن بعد أن ورثت نفوذ النعيمي وإدارة شركاته وهيلمانه وصولجانه.

-١٧-

تركت أمنية سيارتها فى موقف السيارات أمام دار القضاء العالى، ومضت مترجلة تخوض فى الشوارع الضيقة بسوق التوفيقية وعيناها معلقتان على أرقام المنازل تبحث عن العنوان الذى كتبته فى ورقه صغيرة تضمها قبضة يدها.

كان الوقت مساء إحدى ليالى الصيف الساحرة، وصوت المنتج السينمائى الذى تعرفت عليه عليه يوم عرض مشروع تخرجها من معهد السينما، يرن فى أذنها وهو يشيد بموهبتها ويتنبأ لها بمستقبل

مبهر فى عالم الإخراج السينمائى، ثم وهو يعاود الاتصال بها بعد سنة كاملة من التخرج، ويخبرها برغبته فى أن تقابله بمكتبه بالقرب من سوق التوفيقية فى أمر مهم..

وانفتح باب الاسانسير لتجد نفسها فى مواجهة باب مكتب الإنتاج السينمائى فى إحدى العمارات العتيقة بالمنطقة، وكان باب المكتب مفتوحا ً على مصراعيه.. والبهو تتوسطه مائدة للتدريبات تجلس إليها مجموعة من الممثلين والممثلات، معظمهم وجوه جديدة، والقليلون منهم ممثلون نصف معروفين، واصطحب الساعى أمنية مباشرة ً إلى المكتب الخاص بالمنتج الشاب.

ولفت نظرها الديكور الغريب للمكتب المكون من وحدات تشكيلية من قواقع البحر وأصدافه، وتذكرت على الفور ما سمعته من أنه بدأ حياته تاجرا ً للأسماك، ولايزال يمتلك محلا ً لبيعها فى سوق التوفيقية.

ودار المنتج الشاب حول مكتبه يرحب بحرارة شديدة بالمخرجة الواعدة، لدرجة جعلتها لاتنتبه للحظات لوجود شخص آخر بالغرفة، حتى نبهها المنتج تامر الشوبكى إلى وجوده، وقدمه لها قائلا ً:

-المعلم شحاتة مؤلف وبطل الفيلم الجديد اللى حانتجه.

وحدقت أمنية فى المعلم شحاتة، فوجدته رجلا ً قصير القامة، شديد النحافة، لكنه عندما صافحها بعد أن قدمه الشوبكى

لها، شعرت بقوة قبضته وهو يشد على يدها.

وكان المعلم يرتدى جلبابا ً من قماش فاخر، وحول معصم يده ساعة رولكس ذهبية، وفى جيب الجلباب العلوى علبة سجائره من نوع مستورد وأمامه على الترابيزة ولاعة ذهبية وموبايل حديث جدا ً، وكلها علامات على أنه تاجر كبير أو صاحب أراضى من الأعيان..

وابتسم شحاته ابتسامة مريبة حينما لمح الدهشة على وجه أمنية، حين أخبرها الشوبكى بأنه مؤلف وبطل فيلمه الجديد، وبدون أى تمهيد أو مقدمات مد يده نحو المخرجة الشابة، وناولها كراسة من النوع الذى يستعمله تلاميذ المدارس وهو يهمس بفخر..

هى دى، ولامؤاخذة، قصة الفيلم.. كتبتها بالتفصيل، والباقى، لامؤاخذة، إنك تقريها وتتوكلى على الله ونصورها على طول.

وضحك الشوبكى وهو يدور حول مكتبه عائدا ً إلى مقعده، وضغط على الجرس، حيث أقبل الساعى فأصدر له أمراً مزدوجاً:

ثلاثة قهوة..وتقفل الباب وماحدش يدخل علينا.

وساعتها فقط شعرت أمنية برغبة شديدة فى أن تطرح سؤالاً

من بين قائمة الأسئلة التى تدور حائرة بدون إجابات داخل عقلها منذ أن دخلت مكتب الشوبكى:

بصراحة، ولامؤاخذة أنا مش فاهمة الموضوع.

ويرد المعلم شحاتة على أمنية بعصبية وانفعال:

هوه مش الحاج تامر فهمك على الحدوتة.

وبسرعة ولباقة.. يسارع المنتج السماك بالرد على السؤال:

أنا أصلى حبيت أخليها مفاجأة يامعلم شحاتة.. وتنهد الرجل بارتياح وهو يمد يده نحو أمنية بعلبة السجائر الفاخرة، فترفض بأدب:

ميرسى يامعلم.. أنا مابدخنش ، وخلال الدقائق التى استغرقها إعداد القهوة ثم احتساءها، كان الموقف قد بدأ يتضح، حينما أدركت أمنية أن الرجل الضامر الجسد العنيف الطباع كان فى الماضى واحدا ً من أشهر المسجلين خطر، قبل أن يقضى بالسجن ربع قرن كامل.. وسألته أمنية:

كانت التهمة إيه يامعلم؟ مخدرات؟!

ضحك الرجل ضحكة سخرية وهو يجيب:

تأبيدة المخدرات موضة جديدة.. ثم أضاف بنوع من الزهو الغريب:

ومحسوبك —لامؤاخذة — طول عمره يكره المخدرات، لاعمرى تعاطيتها، ولا قعدت فى غرزة، واحتقر اللى بيتاجروا فيها..

يبقى المؤبد كان علشان..

قاطعها بهدوء وحسم:

قتل..

وأصيبت أمنية برعب حقيقى، وحاولت ابتلاع ريقها وهى ترتجف، وخاصة حين أضاف المعلم شحاته قائلاً:

وهى دى -لامؤاخذة - قصتى من أول جريمة قتل لآخر جريمة، اللى لامؤاخذة انحبست فيها.

ويتدخل الشوبكى:

المعلم شحاته قتل قبل كده خمس مرات.

ويصحح شحاتة على الفور:

لاوانت الصادق سبعة.

وبدأ المعلم يحكى قصة جريمته الأولى حين غدرت به فتاة أحلامه وهو شاب عندما دخل السجن لشهور معدودة إثر تهمة ضرب أفضى إلى عاهة مستديمة وعندما خرج من السجن وجدها قد تزوجت بغيره، فما كان منه إلا أن قتلها.. وأضاف معلقاً:

سنة واحدة سجن، وتروح تتجوز غيرى، أمال لو لو كانوا عشر سنين، كانت عملت إيه،خاينة وبنت كلب وتستحق القتل، ولا إيه ياأستاذة.

ونظرت امنية إلى الشوبكى، فوجدته مبتسما ً وكأنه عرف القصة من قبل، لكنها تجرأت وسألت المعلم:

طبعا ً كانت تجربة صعبة بالنسبة لك.

وأجاب ببرود شديد:

ولا صعبة ولا حاجة.. محسوبك قلبه جامد، أنا فى الأصل جزار أبا عن جد، والدم الأحمر مايهزش شعرة فى رأسى.

وظل الشوبكى يستحث المعلم على الاستمرار فى سرد وقائع جرائمه التى ارتكبها بدم بارد وبدون أى شعور بالذنب أو الندم، وانكمشت أمنية فى الكرسى لاتدرى ماذا تقول، أو ماذا تفعل لتتخلص من هذا الموقف، ولم يخرجها من صمتها سوى سؤال مباغت وجهه إليها شحاته:

إيه رأيك بقى يا أستاذة.. إنتى طبعا ً المخرجة، والحاج الشوبكى شكر أوى فى حضرتك، وقال لى ده أول فيلم هتخرجيه..لكن هيكون قنبلة بعون الله.

وتدخل الشوبكى فى الحوار قائلا ً:

طبعا ً المعلم كتب أحداث واقعية، لكن احنا هنكتب السيناريو، ونبدل ونغير علشان ندى الأحداث الشكل السينمائى الفنى.

فضرب الرجل بقبضه يده على المكتب ثائرا ً.

مش محتاج يا خويا يا شوبكى.. القصة زى مانا كاتبها هتعجب الناس مية مية!

ثم توجه المعلم نحو أمنية بالحديث:

بذمتك انت عاجبك أفلام الضرب الاهبل والخناقات النص كم اللى بيعملوها فى السينما اليومين دول.. شغل تلامذة لامؤاخذه؟.. ولاأنا غلطان؟!

وترد أمنية بحذر شديد:

ولكن فعلاً لازم يكون فيه سيناريو، وأكيد هيحصل تغيير فى الأحداث والشخصيات مع احترامنا لك طبعا ً يامعلم..

وتزداد ثورة شحاتة ويسحب الكراسة من أيد أمنية قائلا ً:

أنا اللى هاصرف على الفيلم، مع احترامى لاخويا الشوبكى، وأنا جيت له بس علشان دى شغلته، لكن مافيش مخلوق لامؤاخذة هيغير حرف فى القصة.

وهنا وجدتها أمنية فرصة جيدة للاعتذار، وحجة للانسحاب بسرعة من هذا الموقف الهزلى، واستأذنت المعلم شحاته والمنتج تامر الشوبكى فى الانصراف، وأوصلها صاحب المكتب بنفسه إلى الباب وهو يعدها بفيلم آخر فى القريب العاجل، ويؤكد لها أنه متحمس

جدا ً للتعاون معها ومؤمن بموهبتها، وسحبت أمنية يدها بسرعة من يده، بعد أن أحست بشئ غير برئ فى طريقته فى الضغط عليها، وكانت هذه هى أول محاولة فاشلة لها فى الحصول على فرصة لإخراج أول فيلم على مستوى الاحتراف.

وقررت أمنية بينها وبين نفسها أن تلجأ الى طريق التمويل الأجنبي، وأرسلت فكرة السيناريو الذي استوحته من قصة ظهور أختها سارة في حياتهم فجأة إلى أكثر من منظمة سينمائية غربية من تلك المنظمات التي تشجع الموهوبين في العالم الثالث، وتلقت بالفعل رسالة من هيئة "اليوروميد"، وهي هيئة سينمائية مستقلة تعرب خلالها عن استعدادها للمساهمة في مشروع الفيلم الذي تعد له أمنية.

وعرضت عليها "اليوروميد" منحة لدراسة السينما في الدانمارك لمدة ستة أشهر قبل البدء في تنفيذ وتصوير السيناريو الذي نال إعجاب المسئولين عن المؤسسة السينمائية بسبب تناوله لموضوع شائك ومهم وهو العلاقة بين الشرق والغرب وصورة الآخر في عيون الانسان العربي.

وتحقق حلم أمنية السينمائي بدون أن تضطر لتقديم أي تنازل فني أو أخلاقي وبدون أن تلجأ لمساعدة والدتها أو تحتاج لوساطة شقيقتها الاعلامية اللامعة.

كشف موت النعيمى الغامض الجانب الآخر من شخصية شاهيناز،هذه المرأة التى تعودت على الصدمات، واعتادت مواجهة الحياة بقوة وصلابة من الصعب أن تجدهما فى إمرأة شرقية.

وأثبتت سيدة الأعمال الصاعدة بسرعة الصاروخ كفاءة نادرة فى إدارة شركات زوجها الراحل، بعد أن اتفق أعضاء مجلس إدارة مجموعة النعيمى على أن يوكلوا إليها بسرعة سلطة اتخاذ القرارت الحاسمة والمصيرية، وبدأوا حملة إعلانية ضخمة فى الصحف والمجلات، ركزوا خلالها على أن مشروعاتهم لا ترتبط بشخص واحد، وأنهم ملتزمون بتسليم الوحدات والفيلات التى أعلنوا عنها من قبل فى موعدها المحدد.

وكان أول قرار اتخذته شاهيناز هو القيام بشراء الآلاف من أسهم شركات النعيمى فى بورصة الأوراق المالية للحيلولة دون انهيار الأسهم، والحفاظ على مستوى ثابت ومعقول لها فى مواجهة الشركات المنافسة. واتفقت مع نجمة سينمائية مشهورة على بطولة إعلان تليفزيونى عن أحدث منتجعات بنتها شركة النعيمى للمقاولات فى العين السخنة، ورصدت مبلغا ً ضخما ً للترويج للمشروعات الجديدة للشركة التى تمتلك هى نفسها جزءا ً كبيرا ً من أسهمها.

واستطاعت بذكائها وقدرتها على التعامل مع الناس وكسب ثقتهم وودهم مهما تعارضت مصالحهم معها ومع مصالحها أن

تتوصل لاتفاق مع أبناء عزت النعيمى وزوجته الأولى يخول لها إدارة شركاته فى مقابل حصولهم على النسبة الأكبر من الأرباح.

ونجحت في إقناعهم أيضا ً بأن أى بيع لشركة من الشركات أو أصل من الأصول، سيؤدى إلى انهيار كامل وسريع فى أسهم تلك الشركات فى البورصة، وسيزيد الموقف المالى للمجموعة سوءا ً.

وطلبت من المحامى على الجرايحى الضغط لدى بعض الدوائر فى وزارة العدل لاستصدار قرار من النائب العام بحظر النشر فى قضية مقتل النعيمى.

وكانت القضية قد تحولت إلى مادة خصبة لصحف النميمة، وحاول الجرايحي أن يقنع أولي الأمر بأن القضية حساسة وتسئ ليس فقط لعائلة النعيمي وأولاده الذين يشغلون مناصب مرموقة،ولكنها تسئ إلى صورة وسمعة رجال الأعمال المصريين في الداخل والخارج، وهي الصورة التي اهتزت كثيرا في السنوات الأخيرة بعد تورط أكثر من رجل أعمال كبير في جرائم مخلة بالشرف.

وحاول أن يقنعهم بأن نشر مثل هذه الفضائح الجنسية يؤثر كثيرا ً على مركز المجموعة فى السوق ويهز مصداقية صاحبها، ويصوره على أنه رجل ماجن راح ضحية نزواته ومغامراته النسائية، لكن جهود الجرايحى ضاعت هباء واستمر النشر فى القضية، بل وأصبحت الموضوع المفضل لدى الصحف والفضائيات الخاصة.

وفاجأ الكاتب الصحفى علاء مراد الوسط الصحفى ومجتمع رجال المال والأعمال بنشر قائمة كاملة بالفنانات والمذيعات وسيدات الأعمال والفتيات القاصرات اللاتى أقام النعيمى علاقات معهن، كما نشر تفاصيل مذهلة حول هدايا بالملايين أهداها رجل الأعمال المغدور لعشيقاته ومحظياته، وقدم سلسلة من التحقيقات الصحفية حول جريمة مقتل النعيمي الغامضة كتبها بقلمه من العاصمة الإنجليزية لندن.

وكشف فى مقال له بعنوان "أغلى سهرة حمراء في التاريخ!" عن بعض الملامح والتفاصيل الخاصة بالسيدة التى تواجدت مع النعيمى فى شقته بحى بروكلين وقضت معه سهرة حمراء قبل ساعات من سقوطه من شرفة منزله.

وقال إنها أميرة خليجية باع لها النعيمى ثلاث فيلات فى مصر، يزيد ثمن الفيلا الواحدة منها على ١٥ مليون جنيه، ولم يحصل منها على جنيه واحد.

ويبدو أن المقابل كما استنتج علاء مراد هو الليلة التى قضاها النعيمى مع الأميرة فى شقته بلندن، ووصفها بأنها أغلى ليلة حمراء في التاريخ.

وكتب مراد أن شرطة اسكوتلانديارد، تشك فى أن علاقته بالأميرة الخليجية ربما تكون وراء مقتله، حيث كان ينافسه على حبها

رجل أعمال خليجى معروف أنفق عليها هو الآخر أموالا ً طائلة، وربما يكون قد أراد الانتقام منه، بتخطيط عملية قتله، وربما تكون عائلة الأميرة نفسها وراء جريمة القتل بعد أن تعددت فضائحها وعلاقاتها بالمشاهير ورجال الأعمال.

وحقق علاء مراد قفزة كبيرة فى أرقام توزيع صحيفة المستقبل بالأسرار الكثيرة التى كشفها عن مصرع النعيمى، وآخرها التحليل الذى كتبه على مساحة صفحة كامله فى الجريدة، وجمع فيه بعض خيوط الجريمة، حيث انفرد بنشر وثيقة لعقد ببناء مدينة سكنية كاملة فى إحدى الإمارات الخليجية، حصل عليه النعيمى من حاكم الإمارة، وكان سيدر عليه مليارات الدولارات كأرباح من بناء المشروع، لولا تدخل غريمه رجل الأعمال الخليجى الذى كان ينافسه على حب الأميرة العربية وإفساده للصفقة.

أما أخطر ما نشره علاء مراد فهو محاولات هذا الملياردير الخليجى الذى اتهمه مراد مباشرة ً بأنه وراء مقتل النعيمى للضغط على السلطات البريطانية، لحفظ التحقيق في القضية وقيده ضد مجهول، خصوصا بعد أن فشلت التحريات والتحقيقات في الكشف عن شخصية السيدة التي قضت الليلة مع النعيمي قبل ساعات من مقتله.

واتهم مراد الشيخ الخليجي بأنه يحاول استغلال نفوذه وأمواله،

فضلا ً عن تهديده بفضح أسرار جديدة تكشف تورط العائلة المالكة البريطانية فى مقتل الأميرة ديانا وحبيبها المصري دودى الفايد فى منتصف التسعينات من القرن الماضى،لإجبار السلطات البريطانية على حفظ التحقيق..وحذر فى مقاله الافتتاحى بالجريدة من أن يصبح مصير قضية رجل الأعمال عزت النعيمى مثل كل قضايا المصريين الذين عثر على جثثهم فى لندن، وقيل إنهم انتحروا بإلقاء أنفسهم من شرفات شققهم. ورجح أن تكون هذه الحوادث وأبطالها جميعا من المشاهير، وأشهرهم سندريلا السينما المصرية سعاد حسنى، ورجل الأعمال وزوج إبنة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والسكرتير الشخصى للرئيس السادات الملقب بالطفل المعجزة أشرف مروان، واللذان لاتزال قضيتهما تحير الناس حتى الآن بفعل فاعل رغم قيدها فى شرطة اسكوتلانديارد على أنها انتحار.

وطالب علاء مراد فى مقاله بإرسال محققين مصريين لحضور التحقيقات فى قضية النعيمى، أسوة بما يحدث فى قضايا مصرع الأجانب فى مصر، حيث لا تعترض السلطات المصرية على الإطلاق على وجود محققين غربيين فى مثل هذه القضايا، مطالبا ً بمعاملتنا بالمثل، والسماح لنا بالاشتراك فى التحقيقات، حتى نطمئن تماما ً إلى نزاهة وموضوعية وصدق النتيجة التى سيتم التوصل إليها.

واستغل مراد قربه من شاهيناز شوكت وصداقته بمحاميها

وشريكها على الجرايحى فى الاطلاع على كل مستجدات قضية النعيمى، فى نفس الوقت الذى أقنعها فيه بإبعاد داليا تماما ً عن الموضوع، خاصة وأن القناة التى تذيع برنامجها لاتزال تابعة لمجموعة النعيمى، ولا يعقل أن يتم تناول سيرة الرجل وفضائحه فى قناة هو الذى أنشأها ومولها، حتى ولو آلت مسئولية إدارتها إلى زوجته الثانية شاهيناز هانم المصدومة فيه والراغبة فى الانتقام لنفسها وكرامتها منه.

وشجع الاهتمام غير المسبوق الذى حظيت به مقالات وتحقيقات علاء مراد حول قضية مصرع النعيمى الكاتب الصحفى الانتهازى على جمع كل مانشره عنها فى كتاب حقق رواجا ً كبيرا ً، وطبع منه ثلاث طبعات خلال سنة واحدة.

- ١٩ -

عادت سارة من زيارتها القصيرة لمصر، وهى فى قمة السعادة والانتشاء بعثورها على أخواتها غير الشقيقات، وكانت متلهفة للغاية للقاء أمها البرتغالية، لكى تحكى لها عن تفاصيل أحلى مفاجأة فى حياتها وانطباعاتها عن شاهيناز هانم وبناتها الثلاثة، ولذلك حصلت على اجازة قصيرة من المهمة التى كلفتها بها شركة الفنادق العالمية فى لندن، لتعود بسرعة إلى استراليا وتحكى لوالدتها كل شئ عن رحلتها إلى القاهرة.

وسرحت سارة طويلا في المفارقة الغريبة التى كانت سببا ً فى

العثور على أخواتها، والشاب المصرى الذي وقع فى غرامها بسرعة غريبة، وأحست بإشفاق كبير عليه وترددت كثيرا ً وهى ترسل له رسالة على بريده الإلكترونى تقتل بها كل أمل فى نفسه فى أن تكون يوما ً ما من نصيبه.

ولم تكن سارة تتوقع أبدا ً أن يكون هذا الضابط المصرى العملاق هو نفسه الشفرة التى ستحل لها لغز بنات فخرى الريس اللاتى ظلت تبحث عنهن لسنوات دون جدوى، إلى أن تعرفت على سامح وأحبها وطلبت مساعدته فى العثور على أخواتها، فقاده القدر للارتباط بواحدة منهن، وهى هناء مهندسة الديكور الجميلة الرقيقة التى أحبتها سارة من أول نظرة وقعت فيها عيناها عليها، وشعرت بأنها أقرب الأخوات الثلاثة إلى قلبها.

شاء القدر أن يكون ارتباط سامح بهناء هو مفتاح السر، والبوابة التى ستدخل من خلالها سارة إلى عالم شاهيناز وبناتها، وكم أثارها وحيرها وشغلها هذا العالم، وكم اشتاقت للقاء أمها بريجيت لتحكى لها ما حصل معها فى القاهرة، وكيف تبدو الزوجة الأولى لمستر فخرى كما تعودت أمها أن تذكره دائما ً فى غيابه حتى عندما كان حيا ً.

وكانت بريجيت تكن لهذا الرجل كل حب واحترام، ولا تجد فى نفسها إجابة على سؤال ظل يؤرقها طويلا ً منذ ان تعرفت عليه

لأول مرة حين جاء ليعمل معهم فى المدرسة.

وأحست بشئ غامض يجمعها به ورغبة عارمة فى الاقتراب منه، ومعرفة سر الحزن النبيل الذى يبدو فى عينيه، ولم تصدق نفسها حين طلبها بعد أقل من شهر واحد من تعارفهما للزواج.

وظل السؤال الحائر يطاردها.. كيف تجرؤ امرأة فى العالم على أن تظلم هذا الرجل الطيب وتتخلى عنه بهذه السهولة، وتطرده وتطارده وتحرمه من بناته؟.. كيف طاوعها قلبها؟.. وكيف قدرت وعزمت وخططت على الخلاص من حياتها معه؟.

ولذلك لم تكن بريجيت أقل شوقا ً من سارة لرؤية هذه المرأة العجيبة والاستماع إلى القصة من وجهة نظرها..

ولم تضع سارة وقتا كثيرا ً.. وضعت حقائبها فى غرفتها وذهبت بسرعة إلى غرفة نوم أمها وارتمت فى حضنها كما تعودت منذ أن كانت طفلة صغيرة، تحكى لها كل شئ.. الحلو والمر.. المشرف والمشين.

وكان مستر فخرى يقول دائما ً عن بريجيت إن لديها فائضا ً من الحنان يكفى قارة استراليا بأكملها وقد يفيض أيضا ً.. وكان يندهش كثيرا ً لتلك الحميمية التى تتعامل بها مع الناس، وهذه الطيبة المفرطة التى تذكره بوالدته فى ريف مصر، ويحمد الله على أن سارة ليست على نفس القدر من العفوية وسلامة النية التى تتمتع

بهما أمها وإلا كانت قد ضاعت فى هذا العالم الذى لم يعد فيه مكان للسذج أو الطيبين.

وحرصت بريجيت على أن تترك سارة تسترسل فى الحديث عن رحلتها إلى القاهرة دون أن تقاطعها سوى بكلمات قليلة تستوضح بها تفصيلة تريد التأكد منها أو معلومة فاتتها.. ولاحظت أن كلامها عن شاهيناز أكثر بكثير عن أخواتها البنات، ولذلك سألتها:

هو انتى كنتى بتدورى على اخواتك ولا على الست شاهيناز هانم.

وترد سارة بسرعة:

شاهيناز هى مفتاح كل شئ فى هذا البيت، والبنات الثلاثة مجرد تنويعات على نفس اللحن.

وتصمت لبرهة ثم تستطرد قائلة:

-أختى الكبرى داليا تكاد تكون نسخة بالكربون من شاهيناز هانم فى الشخصية وليس الشكل.. طموحة جدا ً وعنيدة ومقاتلة شرسة ومصممة على الوصول إلى ما تريد بغض النظر عن الضحايا الذين يمكن أن تدوسهم فى الطريق.. ووصلت بالفعل وبسرعة شديدة لموقع مهم فى الصحافة والتليفزيون.

وتحفزها بريجيت على الاسترسال بقولها:

والعروس اللى راحت من نصيب صاحبك الضابط.. عنيده هى كمان؟

وتندهش سارة من تذكر والدتها لموضوع سامح رغم أنها حكته لها فى عجالة فى مكالمات تليفونية معها من القاهرة ولندن، وردت عليها بسرعة:

هناء أجمل وأرق واحدة فى البنات.. قطعة من البسكويت وفنانة تشكيلية موهوبة جداً. وإنسانة شفافة للغاية، لدرجة أنى لم أشعر بأى شئ غريب فى طريقتها في التعامل بيننا، رغم أنى أعرف أن سامح حكى لها قصته معى.

وتسأل بريجيت ابنتها..

- يعنى مافيش ولو شوية غيرة؟

لا.. خالص.. هناء بنت جميلة فعلاً من الداخل والخارج، وهيه أكتر واحدة فى اخواتى عاملتنى بحميمية وكأننا اتربينا مع بعض، يمكن لأنها كانت السبب فى عودتنا لبعض بعد ما عرفت قصة بابا من سامح، ويمكن لأننا متقاربين جداً فى طريقة التفكير أو لأن هناء عقليتها غربية ومنفتحة على العالم أكثر من داليا وأمنية مع أن أمنية هى كمان فنانة.

وتضحك بريجيت وهى تقول: كلكم فنانات لأن أبوكم كمان

كان فنان وكان بيحب الرسم والشعر.. لكن أمنية فنانة فى إيه؟..

مخرجة سينمائية..يعنى اتخرجت من معهد السينما وعملت كذا فيلم تسجيلى وروائى قصير، لكن لسه ماعملتش حاجة على مستوى الاحتراف.

وظلت سارة تحلل شخصية كل واحدة من أخواتها الثلاثة، بالقياس إلى شخصية شاهيناز، والأم تستفسر بفضول الأنثى الذى لا يعرف الفارق بين الناس في الشرق والناس في الغرب، فالانسان هو الانسان والمرأة هي المرأة في كل مكان.

ظلت بريجيت تسأل عن غريمتها التى لم ترها أبدا ً فى حياتها، والسيدة التى هجرها مستر فخرى وأجبرته على أن يترك وطنه ويهاجر إلى استراليا، ويتعرف عليها ويجد فيها الملاذ والخلاص من همومه وأحزانه وإحباطاته فيها ومعها.. وتحاول أن تستجمع أجزاء الصورة لتكون فكرة نهائية عن هذه السيدة الغريبة المحيرة.

وكانت سعيدة للغاية لأن ابنتها أزاحت هما ً ثقيلا ً من على قلبها، ونفذت وصية أباها الذى كانت ولا تزال تحبه بجنون، ولم تعرف طعم الفرحة الحقيقية منذ رحيله إلا عندما عثرت على بناته، واكتشفت أن كل واحدة منهن فيها شئ منه، ربما بقدر أقل من الأشياء التى تجمعهن بالأم، لكن زيارة سارة الأولى لهذه العائلة أكدت لها أن فخرى الريس لا يزال حاضرا ً فى هذا البيت، وإن

كان سيظل كما كان دائماً الحاضر الغائب.

- ٢٠ -

رغم البراعة التى أبدتها المرأة الحديدية شاهيناز شوكت فى إدارة مجموعة النعيمى، إلا أن الألسنة لم تتركها فى حالها.

واستغل خصوم رجل الأعمال القتيل فرصة اختفائه عن ساحة عالم المال والأعمال ونهايته المشينة فى شقة بلندن بعد سهرة حمراء مع سيدة مجهولة، وبدأوا يفتحون ملفاته القديمة والجديدة.

وزاد من رغبتهم فى التمثيل بجثة الرجل وسمعته والانتقام من سطوته عليهم وجبروته وحروبه التى لم تكن تنتهى ولم يكن يراع فيها صداقة أو أخلاق، ولم يكن يعرف فيها معنى الرحمة.

زاد من إصرارهم على الخوض فى عرضه والتنكيل به والإساءة إليه وإلى ذكراه، هذا النجاح الكبير الذى حققته شاهيناز فى فترة قصيرة للغاية، والخطة الموفقة التى وضعتها بالاستعانة بعدد من أصدقائها من رجال الاقتصاد والدعاية والإعلان للحفاظ على وضع الشركات الضخمة فى السوق، والاجراءات السريعة الحكيمة التى اتخذتها لتحول دون انهيار أسهم هذه الشركات فى البورصة، لدرجة أنها عادت أكثر قوة مما كانت قبل مقتل النعيمى.

وأدى انشغال الرأى العام بتفاصيل جريمة مصرع رجل الأعمال

صاحب السطوة والنفوذ في ظروف غامضة، والتحقيقات الصحفية والتليفزيونية التى نشرت وأذيعت حول انشطته الاقتصادية وممتلكاته وشركاته خدمة عكسية لمجموعة النعيمى وجاءت بمثابة إعلانات مجانية عن هذا الاخطبوط المالى الذى استطاع أن يدير بكل حنكة أكثر من ٣٠ شركة فى مجالات اقتصادية متعددة، من العقارات إلى استصلاح الأراضى الزراعية والبتروكيماويات والأسمدة والمبيدات وحتى الأغذية المحفوظة وصناعة الإعلام.

وكان له فى كل مكان ذراع، وفى كل منطقة من مناطق النفوذ تواجد مباشر أو غير مباشر، فقد كان يجيد الدعاية لنفسه والتغطية على نزواته ومغامراته النسائية بتقديم الخدمات والوظائف والمساعدات المالية والعينية لأهل المنطقة الشعبية التى ولد وعاش شبابه فيها، رغم أنه لم يرشح نفسه يوما ًلعضوية مجلس الشعب أو الشورى.

ولم تكن تعنيه الحصانة البرلمانية فى شئ لأنه احترف تحصين نفسه ومكانته ومشروعاته بوسائل أخرى أذكى وأقوى.

وكان معروفا عنه في وسائل الاعلام أنه رجل البر والتقوى وصاحب العديد من المشروعات الخيرية.

وكان يرعى عددا من شيوخ السلفية الذي يصدرون فتاوى التحريم والتكفير ليل نهار على الفضائيات الدينية التي انتشرت انتشارا رهيبا خلال السنوات الأخيرة ونشرت معها فكر التخلف والخرافة،

وخصص عمارة كاملة ضمن أحد مشروعاته السكنية في مدينة من المدن الجديدة ليقيم فيها أحد هؤلاء الشيوخ مع زوجاته الأربع وأولاده منهن ومن غيرهن.

وكان النعيمي حريصا طوال حياته على حضور أحد الموالد الشهيرة في مسقط رأسه بإحدى محافظات الصعيد، وكان يصطحب معه لحضور الليلة الكبيرة في هذا المولد عددا من أصدقائه من المشاهير والفنانين ورجال البيزنس المولعين بالصوفية وطرقها.

وكان ينفق أموالا ضخمة على المريدين والمحبين والمشايخ، وخصص أكثر من عمارة سكنية من عماراته بالقاهرة لاقامة أهل بلدته الأصلية بالصعيد حين يأتون الى العاصمة للعلا أو الزيارة أو التبرك بأضرحة آل البيت وأولياء الله الصالحين.

ووظف عددا كبيرا من هؤلاء في شركاته فأصبحوا عزوة إضافية له وجيش في الظل يستطيع في أي وقت يشاء أن يحركه بإشارة منه إذا احتاج الأمر الى ذلك.

وكان يحتاج أحيانا لاستخدام هذا الجيش الاحتياطي لتسوية بعض الامور أو الحسابات العالقة مع الكبار في زمن أصبحت فيه البلطجة ومعارك الشوم والسنج والمطاوي والأسلحة البضاء، بل وأحيانا الرشاشات ومدافع الكلاشينكوف هي لغة التخاطب بين مراكز القوى الجديدة، خصوصا إذا كان الخلاف على قطعة أرض

من أراضي وضع اليد أو أملاك الدولة السائبة والمنهوبة.

ولذلك فقد كانت الحرب شرسة وقذرة والأعداء أكثر بكثير مما توقعت شاهيناز، خاصة بعد أن خرج الفئران المذعورون من بطش النعيمي جميعهم من جحورهم ونشبوا أظافرهم في جسد القتيل وزوجته وأسرته، ووجهوا سهامهم اليها هي بالتحديد وشهروا بها في الصحف والفضائيات.

وجاءت الطعنات من الأصدقاء قبل الأعداء، وها هو الكاتب الصحفي الكبير علاء مراد الذي كانت تجمعه صداقة ومصالح عميقة مع عزت النعيمي، فضلا عن صداقته بالمحامي علي الجرايحي وعلاقته القوية بشاهيناز، وخصوصا بعد أن عملت داليا معه في صحيفة المستقبل.

هاهو الكاتب المرتزق من الفضائح والخوض في أعراض الناس أو "المعرياتي" كما يسميه أحد خصومه من زملائه الصحفيين يقف في أول طابور الناهشين في لحمها ولحم زوجها القتيل، ويجبر داليا على الاستقالة من الجريدة بعد أن رفض كل اعتراضاتها بل وتوسلاتها لوقف النشر في قضية مصرع زوج أمها.

ونشر مراد صورا فاضحة للنعيمي مع عشيقاته في أكثر من عاصمة أوروبية، واستغل أرشيف الصور الصحفية بالجريدة،و جمع

كل الصور التي لم يجرؤ على نشرها من قبل للحفلات الصاخبة والسهرات الحمراء التي كان يحضرها عزت بيه ويصاحبه في معظمها علاء مراد نفسه، باعتباره من أصدقائه المقربين.

وتجاوز كل الحدود وبدأ يحارب داليا نفسها بعد أن ظل يكتم غيرته لفترة طويلة من لمعان نجمها في عالم الصحافة و تألقها كمقدة برامج تليفزيونية، وأصبح يقول في جلساته الخاصة أنه هو الذي صنعها وهو الذي يستطيع أن يدمرها.

وبدأ حربه القذرة عليها بنشر تقرير غير حقيقي عن قيامها باستضافة فتيات "ريكلام" من اللاتي يعملن في الكازينوهات والملاهي الليلية وممثلات كومبارس في إحدى حلقات برنامجها، وتقديمهن للمشاهدين على أنهن فتيات فقيرات أجبرهن آباؤهن على الزواج من مشايخ عرب من بلاد النفط ووافقن تحت ضغط الحاجة الى المال والتهديد بالقتل.

واتهم التقرير الصحفي المشبوه المذيعة والصحفية داليا فخري بتعمد الاساءة الى سمعة مصر وتشويه صورتنا أمام العالم، وخاصة في الدول العربية.

وطالب كاتب تقرير جريدة المستقبل نقابة الصحفيين بالتحقيق مع داليا وتحويلها الى محاكمة تأديبية، بل ووصل الأمر إلى حد مطالبة وزارة الداخلية بسحب الجنسية المصرية منها بدعوى أن

من يسئ الى سمعة بلد لا يحق له أن يحمل جواز سفره أوجنسيته.

أما الصديق الثاني علي الجرايحي فقد حاول الضغط على ابنه سامح لتأجيل موعد زفافه على هناء حتى تهدأ الأمور وينسى الناس فضيحة مقتل النعيمي بعد أن أثرت القضية بالفعل على وضعه كضابط شرطة، وتم نقله من إدارة شرطة السياحة إلى إدارة مكافحة المخدرات.

لكن الشاب النبيل أصر على اتمام الزواج في موعده، وهدد بالاستقالة من الشرطة لو لم يرضخ الأب لطلبه.

وقد خفف هذا التصرف الجميل من سامح كثيرا من غضب شاهيناز على الجرايحي الذي كانت صدمتها فيه اشد من صدمتها في علاء مراد وقررت تأجيل الحساب بينهما إلى وقت آخر.

أما أمنية التي كانت قد تعبت من اللف والدوران على مكاتب المنتجين بسيناريو الفيلم الذي كتبته ليكون أول أفلامها أيضا كمخرجة، حتى تعرفت على طريق التمويل الأجنبي،فقد انهالت عليها العروض فجأة لإخراج قصة مقتل النعيمي في فيلم، وكأن النجاح لا يمكن أن يتحقق الا على جثث الموتى وسمعتهم وكرامة أبنائهم وعائلاتهم.

وأصبحت شاهيناز تعيش على المهدئات والحبوب المنومة بعد

أن انهالت عليها الطعنات من كل مكان.

ولم يشفع لها نجاحها في ادارة المجموعة وسمعتها الطيبة التي حافظت عليها طوال سنوات عملها في البيزنس منذ أن بدأت كمجرد سمسارة شقق.

وقررت في لحظة كادت تكره فيها كل شئ وتفقد ثقتها في الحياة والناس أن تقلب المعبد على من فيه وترتاح من هذا الهم الثقيل وتترك الساحة لمن يحاربونها ويريدون أن يأكلوها حية كما أكلوا النعيمي ميتا..قررت أن تتركهم لكي يجولوا ويصولوا وحدهم.

واتفقت مع أبناء عزت النعيمي من زوجته الأولى على أن يختاروا واحدا منهم بالاتفاق مع أعضاء الجمعية العمومية لشركات المجموعة لادارة الشركات، على أن تنفصل هي وشركتها للمقاولات عن مجموعة النعيمي الاقتصادية وتعود لتعمل وحدها كما كان الحال قبل إعلان زواجها منه.

وساعدها في تنفيذ هذا القرار أن شركتها لم تكن ضمن شركات مجموعة النعيمي المطروحة أسهمها في البورصة.

قررت المرأة المقاتلة أن تستريح قليلا وأن تنسحب من معركة لم تكن منذ البداية طرفا فيها.

وخلصها خوفها على مستقبل وسمعة بناتها من شهوة

الاحساس بالانتصار الدائم على أعداء حقيقيين ووهميين،وعقدة المرأة الحديدية التي لا تعرف الهزيمة ولا تعترف بالضعف أو تستسلم للاحباط.

وتأثرت شاهيناز كثيرا بموقف سارة من أزمة قضية النعيمي، فقد أظهرت الفتاة حبا وحنانا واخلاصا لم تكن تتوقعه أبدا من تلك الخواجاية إبنة فخري الريس من بريجيت، فقد كانت سارة معهم لحظة بلحظة وتتابع أخبارهم وتداوم الاتصال بهم منذ أن علمت بخبر مقتل النعيمي.

وحرصت على الحضور بنفسها الى القاهرة في أول فرصة أتيحت لها لتكون بالقرب من أخواتها وأمهن في تلك المحنة.

وعرضت عليهن أن تتابع من خلال صديق لها يعمل في هيئة الاذاعة البريطانية آخر أخبار التحقيقات في الجريمة.

وكانت سارة عونا نفسيا لأختها داليا على وجه الخصوص في أزمتها مع علاء مراد الذي أراد تصفيتها مهنيا بالتقرير المفبرك عن فتيات الكومبارس، لولا أن أثبت تحقيق الشرطة مع الفتيات صدق كل ما جاء على لسانهن خلال الحلقة التليفزيونية التي قدمتها من خلال برنامجها الشهير.

وشعرت شاهيناز بحب كبير وغير مفهوم أو متوقع لتلك الفتاة

الجدعة وأقرب بنات فخري الريس اليه من حيث الشكل والملامح رغم أنها ابنة الخواجاية..وأحست بأن الفتاة تحاول تعويض تقصير أباها الراحل مع بناته وهروبه منهن بإغداق الاهتمام والنصح والمشاعر عليهن.

وأعجبت في نفس الوقت بطبيعتها العملية وذكاءها وثقافتها وتوقعت لها مستقبلا عظيما في عالم البيزنس، بل وعرضت عليها أن تتولى ادارة أول فرع تقرر شاهيناز افتتاحه لشركتها في لندن.

وربما تكون قد فكرت في افتتاح هذا الفرع خصيصا من أجل عيون سارة، لكن ابنة فخري الريس رفضت بكل تهذيب وكبرياء هذا العرض المغري من زوجة أباها الأولى، وأصرت على أن تكون علاقتها بها علاقة إنسانية خالصة، فزاد حب وإعجاب شاهيناز بها.

"تمت"

الكاتب الصحفي / محمد رفعت

مواليد القاهرة ١٦ يونيو ١٩٦٦
نائب رئيس تحرير مجلة أكتوبر
صدر له رواية "رقصة اللبلاب" عن دار هيفن للنشر والتوزيع
ديوان "جرب أن تفقد ذاكرتك" عن هيئة قصور الثقافة
كتاب "محاورات المصريين" عن دار شرقيات للترجمة والنشر
وأخيرا رواية "امرأة غير قابلة للكسر" عن دار روعة للطبع والنشر والتوزيع

للتواصل//

- 1004434555@facebook.com

